المشرق

الخوري بطرس التُّولَوي الفيلسوف الشهير

لحضرة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني

بلغ هذا الفيلسوف من تَرامي الذكر وبُعد الشهرة في العلم والفضل ما يبلغهُ اربابها من الطبقة الاولى. ورُزق من الحظّ والاقبال ما لم يُرزقهُ غيرهُ من الرجال المشاهير في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر

ولم يكن من الوطنيين بل من المستوطنين فاذا كانت الوطنيَّة تُكتسب بمدَّةٍ متعارفةٍ بين اربابها فانهُ قد قضى ما يربو على نصف قرن في حلب الشهباء فلا بأس ان يُعدَّ حلبيَّ النِّجار متابعةً لصاحب تاريخ المقاطعة الكسروانيَّة

ولمَّا كان ممَّن خدم الوطن العزيز الخدمة الجليلة التي لا ينقطع برُّها ولا ينقضي فخرها رأيتُ ان اجيبَ ملتمَس البعض واقومَ بالواجب المفروض فانشر ما وقع اليَّ من ترجمة حاله اذاعةً لمحامده واشهارًا لفضائله وتعريفًا بمنزلته من العلم والفضل فاقول:

*

هو عبد الله بن بطرس بن اسحق التولَويّ البتروني الماروني الشهير (١ ولد في قرية تولا من عمل البترون في اواسط الدهر السابع عشر من والدين تقيَّين اعتنيا بتربيته احسن عناية على ما اشتهر به سكَنة لبنان من التقى وحسن التديُّن

ومذ ميطت عنهُ التمائم أُجلس للتعليم عند خوري القرية وعُني والدهُ بتثقيفه فأيَّد العنايةَ بهِ قوَّةٌ في فطرته واشراقٌ في قريحته وذكاء في مداركه فاخذ في قراءة اللغة

١) ورد نسبهُ في مقدمة تأملاته هكذا: «الخوري عبد الله بطرس بن اسحق الماروني نجارهُ التولاوي وجارهُ نزيل حلب ونذير رعيتها واب الملَّة المارونية وايكونومُس بيعتها الخ». فلمَّا انهُ سُمّي في المعمودية (عبد الله) وفي الكهنوت (بطرس) فتبصَّر

السريانية التي كان اللبنانيّون في انصباب على تحصيلها دون ما سواها حتى تلك الاعصر الاخيرة



سمعان التولويّ الراهب الانطونيانيّ تلميذ مدرسة رومية في القرن السابع عشر (١

ولما تبيّن للمثلث الرحمة البطريرك جرجس البسبعلي ماكان عليه الفتى من سمو المدارك ارسلهُ سنة ١٦٦٨ الى المدرسة المارونية التي كان يديرها الآباء اليسوعيين برومة العظمى غير متجاوز الحادية عشرة من العمر فاخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها فدرس اللغات السريانية والايطالية واللاتينيَّة والعبرانيَّة واليونانية الى غيرها من العلوم اللسانيـة والبيانية وتلقَّى المنطق والفصاحة والخطابة والفلسفة والطبيعيات والالهيات والحق القانوني واللاهوت النظري والادبي والتاريخ الخاصّ والعام وما ماثلها من العلوم العقلية العالية فاظهر من الحذق والنجابة والبراعة ما حبَّبهُ الى كل اساتذتهِ

١) اخذنا هذا الرسم عن كتاب اليوبيل المئويّ لانشاء المدرسة المارونية طُبع في رومية سنة ١٦٨٥. فيكون من ثمَّ سمعان التولويّ وهو ايضاً يدعى بطرس معاصرًا لصاحب الترجمة وسميَّهُ ولعلَّهُ هو او يكون احد انسبائهِ درس معهُ في المدرسة المارونية ثمَّ ترهَّب لكنَّنا لم نطَّلع على شيء من اخبارهِ في تواريخ الموارنة وقد اثبتنا صورتهُ صونًا لها من الضياع (المشرق)

فاعترفوا لهُ بالمزية والاسبقية ثم قفل بعد اربع عشرة سنة عائدًا الى لبنان محرزًا شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت

وما كاد ينتهي الى موطنهِ لبنان في عام ١٦٨٢ حتى رقّاه العلّامة الطيّب الذكر البطريرك اسطفانُس الدويهي الشهير الى مقام الكهنوت على دير قنّوبين مركز بطاركة الموارنة المغبوطين فظهر الكاهن الجديد كاملًا في صفاتهِ فاضلًا في اعمالهِ غيورًا على خلاص النفوس فازداد اعتبارًا في اعين مسرّديهِ واصحابهِ

وفي سنة ١٦٨٥ بعث بهِ البطريرك الآنف الذكر الى حلب الشهباء لخدمة شعبها الماروني وقلّدهُ وظيفة الوعظ والارشاد والتعليم والتثقيف فاقبل على خدمة النفوس بغيرة لا تعرف الملل وسعى وراء مهامّ وظيفتهِ بنهضة لا تدري الكلل فاجمع الجميع على ولائهِ واجلالهِ

فكافأهُ المثلث الرحمة السيد جبرائيل البلوزاوي مطران حلب (١ بان سامهُ في عام ١٦٩٨ خوريًا بردوطًا (٢ وعهد اليهِ بالرئاسة على الكهنة والشعب فضاعفت الوظيفة فيهِ العناية بامر الكنيسة والاهتمام بشؤون الشعب والمراقبة لذنوب المؤمنين وتقييدهم بالقانون والنظام والضبط للاكليرس قيد واجباتهم

*

ما كاد الخوري بطرس يتولّى منصبهُ الجديد حتى جعل يفرغ اقصى ما لديهِ من الغيرة في سبيل خير الرعيّة فقال فيهِ بعض معاصريهِ: « كان الخوري بطرس التولاوي في حلب نائبًا عن مطرانها ورئيسًا على كهنتها الذين كان مطراننا المذكور يرسلهم لخدمة الرعية او الرعية تختارهم. . . واما الخوري فتقدّم لهُ الاعتبار من كل الطوائف حتى لُقّب بكوكب الشرق لاجل علمهِ وعملهِ (٣ ». وحسبك بها شهادة تنبئك بما صرفهُ من الهمّة الناهضة الى ما يعود على الخلق بالمنافع العميمة. والحقّ يقال انهُ نهض باعباء وظيفتهِ السامية نيفًا وعشرين سنة باذلًا ما لا مزيد عليهِ من الهمّة والنشاط في اصلاح شؤون ملّتهِ المادّيّة والادبيّة

١) أُقيم مطرانًا على حلب سنة ١٦٦٣ وارتقى الى مقام البطريركية سنة ١٧٠٤ وقضى نحبهُ سنة ١٧٠٥ (انظر ص ٣٦٣ من سنة المشرق الاولى)

٢) راجع ما ورد عن الخوري البردوط وحقوقهِ في ص ٣٣٥ وما يليها من المجمع اللبناني

٣) انتهى بتصرفٍ عن التاريخ الكنائسي الذي مرَّ وصفهُ في المشرق (٤: ٧٨٦ - ٧٨٧)

وفي سنة ١٧١٧ نازع البعض كهنة الموارنة في توزيع الاسرار المقدَّسة على الطوائف المسيحية كالافرنج والسريان والملكية والارمن والكلدان (١ مدَّعين بان هذا الامر منوط بالمرسلين فقط. فرفع الخوري بطرس الدعوى الى المجمع المقدس فحكم بعد التروّي بالحقّ للموارنة وكتب الى منازعيهم بالَّا يتعرضوا لكهنة الموارنة في ذلك اصلًا (٢

ولمَّا كانت سنة ١٧٢٠ ارتدَّ الارمن في حلب الى الايمان الكاثوليكيّ (٣ بهمَّة الورتبيت ابرهام اوَّل بطاركتهم الكاثوليكيين (٤ فوقف الخوري بطرس في كنيسة الارمن ورفع الادعية الحارَّة في رفع شأن بيعة الله الكاثوليكيَّة وسائر رؤسائها العظام.... (انتهى بحرفهِ الواحد عن التاريخ الكنسيّ)

وفي عام ١٧٢٤ قدم الشهباء المطران جبرائيل حوّاء القاصد الرسولي ترويجًا للنفس ومشاهدةً لآلهِ (٥ فاخذ يتعاطى بعض الشؤون الطائفيَّة كجمع العشور ومنع الاعتراف بالبيوت الى غير ذلك ممَّا ليس من شأنهِ تعاطيهِ بل من شأن اسقف الابرشية (٦

---

١) راجع ما ورد عن كلدان حلب في ص ٦٥٥ من سنة المشرق الجارية

٢) انظر ايضاً رسالة القس اسطفان ورد الحلبيّ ص ٨٤٣ من تاريخ الكنيسة المارونية الانطاكية للخوري الفاضل ميخائيل غبريل الشبابي

٣) يستفاد من المشرق الاغر (٣ : ٥٢) ان هؤلاء الارمن كانوا قبل ذلك العهد كاثوليكيين. والصحيح ما اوردناهُ قال صاحب التاريخ: «ان رؤساء الارمن والسريان كانوا اراطقة (في مطلع القرن الثامن عشر) وكانوا يثيرون الاضطهاد على طائفتنا وطائفة الروم» وقال في محل آخر: «ان ابرهام الورتبيت ابتدأ في اول سنة ١٧٢٠ يتعب حتى يردَّ الارمن الى الاعتقاد القويم. فوفَّقهُ الله الى نيل مناهُ في شهر نيسان من السنة المذكورة فكان لذلك احتفال عظيم لم يسبق لهُ مثيل في الشهباء». وكاتب التاريخ ثقة لانهُ معاصر

(قلنا): انَّ حضرة الاب منش ليس بمصيب في هذا الامر لانَّ لدينا عدَّة رسائل كتبها المرسلون من حلب قبل سنة ١٧٢٠ بزمن طويل تبيّن صريحًا رجوع قوم من الارمن الى حجر الكنيسة. فانَّ ارتداد الروم واليعاقبة والارمن في الشهباء كان ابتدأ منذ القرن السابع عشر بيد انهم تردَّدوا في ايمانهم (المشرق)

٤) طالع ما جاء من ترجمتهِ في المشرق (٣ : ٥٢)

٥) روينا ذلك ايضاً في المشرق (٥ : ٧٨٨)

٦) هذا ما قالهُ صاحب الترجمة في مجموعة دعوى السيد حوّاء

فعارضهُ في الصحيح الخوري بطرس مبيناً لهُ عدم صلاحيته لمثل تلك الامور واسند معارضتهُ الى المجمع التريدنتي القائل: "بان ليس لمطران ان يتصرف في رعيَّة مطران آخر (١)" فكان هذا القيل والقال مجلبة لشغب ممتد الصدى

وزاد ابو موسان احد الوجهاء المفسدين في طين الامر بلَّة بان عاكس المطران المذكور اشدَّ المعاكسة حتى حملهُ في سنة ١٧٢٥ على ان يزايل الشهباء مهانًا فازداد الشغب احتدامًا حتى انشطرت الطائفة شطرين متباينين يدافع الواحد ما يريدهُ الآخر ولم يستطع احد من اصلاح الفاسد سوى السيد العلاَّمة جرمانُس فرحات الذي ارتقى اذ ذاك الى اسقفيَّة الشهباء

وقد قامت قيامة خصوم الخوري عليه مدَّعين انهُ كان يعضد ابا موسان السابق في ابعاد ابن الحوَّاء في حين ان الدلائل متظاهرة متضافرة على انهُ لم يشايعهُ في ذلك العمل الفظيع. منها ان المرسلين أيدوا جانب الخوري ولم يذمُّوهُ بتةً. ومنها ان البطريرك لمَّا طلبهُ الى لبنان لتحقيق الامر هبَّت وجوه الطائفة للدفاع عنهُ واقناع البطريرك بانهُ لم يكن لهُ ضلع في ابعاد المطران اصلاً

بيد ان خصماء الخوري ما برحوا يقلقون حتى تمكنوا من ان يحطُّوهُ عن الرئاسة في ١١ آيار سنة ١٧٢٥ باوامر البطريرك يعقوب عواد الذي استدعاهُ اليه ليبرِّر نفسهُ ممَّا أُتهم به في الدعوى السابق ذكرها ونأسف لاننا لم نقف على وقت عوده الى الشهباء وما كان من امره في لبنان. (انتهى عن التاريخ الكنسيّ بتصرفٍ وتصحيح وزيادة عليه)

وعندما قدم حلب اسقفها الجديد السيد جرمانُس فرحات اعاد الى استاذه التولوي الرئاسة على الكهنة واعاد عليه ما افقدهُ حسَّادهُ من الكرامة والجلالة في اعين الشعب فزاد الخوري بطرس همَّةً في اخلاص الخدمة وضاعف اجتهادهُ في مواصلة اعماله الخطيرة بكل اقبال. ولا شك ان هذا من الادلَّة المبرئة ساحتهُ حيث لو كان مدَّعى خصومه

---

١) انظر شلاَّج ٦ ب ٥ في الاصلاح. (قلنا) قد فات صاحب الترجمة ان السيد حوَّاء مسندٌ مطالباته الى قصادته الرسولية المصادق عليها من البطريرك يعقوب عوَّاد واساقفته في اصلاح احوال الطائفة على ما قال صاحب التاريخ الكنسيّ والله اعلم

لما كان السيد المذكور جدّد له الكرامة لِما هو مشهور عنهُ من انهُ لا يتغاضى عن مثل هذه الامور العظيمة

*

مذ قدم الخوري بطرس الى حلب الشهباء رُزِقَ من الاقبال عليهِ ما زاد فيهِ الهمّة والعناية في اتيان الاعمال الباهرة وابداء الفضائل السامية واظهار العلوم الواسعة حتى لم يتخلّف كبير او صغير من سائر المذاهب والطبقات عن اعتبارهِ واجلالهِ فسار ذكرهُ مع الركبان واصبح ممَّن يشار اليهم بالبنان

فتولّى تدريس اللغتين الايطالية واللاتينيَّة في الكتَّاب الماروني فاحسن فيهِ التعليم والتوقيف واجاد في الالقاء والتثقيف فاصاب بعض تلاميذهِ السهم الفائز بهاتين اللغتين وعُرفوا في زمانهم بمعرفة آدابهما الجميلة

وتتلمذ لهُ جماعة في العلوم العالية سادوا وافادوا منهم المطران جرمانس فرحات والمطران عبد الله قرألي والمطران جبرائيل حوّاء والقس عبد المسيح ليان والقس عطا الله زنده (1 والخوري نيقولاوس الصائغ والشماس عبد الله زاخر والشماس مكرديج الكسيح وغيرهم كثيرون من كبار العلماء ومشاهير الرجال الذين تركوا بعدهم التآليف العديدة النفيسة في الدين والدنيا

ثم جعلهُ السيد جرمانس من اعضاء مجلسهِ العلمي فنشط الى التأليف في المنطق والخطابة والفلسفة واللاهوت والطبيعيات والالهيات وما شاكلها من العلوم العالية التي انالتهُ من بُعدِ الشهرة ما انزلتهُ منزلة جهابذة العلماء من الطبقة الاولى

وحسبك من افتتان الناس بهِ على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم انهم تواصفوهُ بالاوصاف العديدة وتناعتوهُ بالنعوت السامية ولقّبوهُ بالألقاب الفخيمة «كالفيلسوف الكامل والعلاّمة الفاضل وامام الخطباء وقدوة العلماء وكوكب الشرق وقبَّة الحكمة وقطب الفلاسفة وعمدة اللاهوتيين ومعدن البراهين المنطقيَّة وكنز العلوم اللاهوتية وشمس الامصار الشرقية وشهاب الملّة المارونية» الى غير ذلك ممَّا انفرد بهِ عن النظراء

---

1) في مكتبتنا الشرقية كتاب في المنطق كتبهُ الشمَّاس بطرس بن جبرائيل زنده في حلب سنة ١٧١٠ يقول في آخرهِ انهُ «تعلَّمهُ على يد المعلّم اللاهوتي الفيلسوف الشهير في علمهِ الاب الفاضل الخوري بطرس الكاروز (التولويّ)» (المشرق)

والاشباه. وكل هذه الألقاب او النعوت تراها في التاريخ الكنسي¨ وفي مختصر تاريخ لبنان وفي نسخة من تعريب المجمع التريدنتي وغيرها

اما تركته العلمية الجليلة فهي عبارة عن سلسلة تآليف متتابعة متناسقة تحوي اوابد العلوم العالية وشواردها. قال العالم الفاضل الخوري جرجس شاحت الحلبي¨: «ان العلامة الخوري بطرس التولوي الماروني قد الف كتباً متتابعة في كل ابواب الفلسفة واللاهوت» ولا غرو فانَّ من تتبع الفيلسوف التولوي يراهُ في تآليفه يأتي على الإيساغوجي فالمنطق فالفلسفة الادبية فاللاهوت النظري فعلم الطبيعيات فعلم الالهيات وكل ذلك في كتب منطوية على ابحاث منقسمة الى فصول عديدة

وهاك اسماء تآليفه كما رأيناها: ١¨ غراماطيق سرياني = ٢¨ مجموع المجامع المارونية القديمة = ٣¨ مجموعة دعوى المرسلين = ٤¨ مجموع دعوى السيد حوّاء = ٥¨ سيرة ماري توما الكمبيسي = ٦¨ خبرية المجمع التريدنتي = ٧¨ رسالة في عبادة الوردية = ٨¨ ردٌّ على قضايا الروم الخمسة = ٩¨ ترجمة تأملات ماري توما الكمبيسي = ١٠¨ تعريب المجمع التريدنتي = ١١¨ مرآة النفس في الرياضة الروحية = ١٢¨ تأملات على مدار ايام الاسبوع = ١٣¨ تأملات على مدار ايام الشهر = ١٤¨ كتاب علم ما بعد الطبيعة = ١٥¨ كتاب الفلسفة الادبية = ١٦¨ كتاب الالهيات في ثماني مقالات = ١٧¨ كتاب مواعظه في جزئين = ١٨¨ كتاب المنطق في جزئين = ١٩¨ كتاب الفلسفة في مجلدين = ٢٠¨ كتاب الطبيعيات في ثلاث مجلدات = ٢١¨ كتاب اللاهوت في خمس مجلدات (١. هذا ما وقفنا عليه من تآليف العلامة التولوي فاوردناها كما رأيناها متفرقة لا اجزاء متتابعة كما انها لانّنا لم نرَ نسخة كاملة من بعض تآليفه الجزئية مع كل البحث الذي تحرّيناه. ولعلهُ يوجد لهُ غيرها من التآليف التي حجبها عنّا قدم الزمان

*

اما غيرتهُ على الدين فعظيمة بذل جهد الطاقة في نشر الايمان الكاثوليكي في حلب الشهباء فهدى اليه الكثيرين وقد ذكر احد معاصريه وهو الخوري يوسف مارون الدويهي¨ انَّ من جملة الذين هداهم الخوري نيقولاوس الصائغ والشماس عبد

١) غالب هذه التآليف مصحح بقلم السيد جرمانس فرحات

٢) راجعنا كثيراً من تآليفهِ في مكتبة الخوري العلامة جرجس شاحت السابق الذكر

الله زاخر (١ وهو كذلك الذي ردَّ الشماس مكرديج الكسيح وغيرهم.

واما تواضعهُ فكان عميقاً جداً وممَّا ينقل عنهُ بالتواتر ان المطران فرحات كان حرَّم على الكهنة التدخين بالقاليون تحت طائلة الربط لاسباب مشروعة فاذ كان الخوري في زيارة احد الوجهاء حملهُ على التدخين بالرغم عن مقاومتهِ الشديدة فما كان غير قليل حتى نمى الخبر الى المطران وكان اشترع ان يتولى الشمَّاس تهيئة معدَّات التقديس فايَّ كاهن لم يَرَها يُعدّ مربوطاً. فلمَّا قدم الخوري الشيخ في صباح اليوم التالي الى الكنيسة ليقيم الذبيحة الالهية لم يرَ لوازم التقديس معدَّة حسب العادة فدرى اذ ذاك بالامر فتريَّث الى ان خرج المطران بعد التقديس ينظر في امور الفقراء ويلطّف ويلاتهم ويجبر انكسارهم ويعينهم في حاجاتهم حسب عادتهِ المحمودة فخرج اليهِ الخوري وترامى عليهِ وهو يتمثل بقول داود النبي (مز ١٨ : ١٧) : « قد لصقت بالتراب نفسي فأحيني حسب كلمتك » فانحنى عليهِ المطران بكل احترام وانهضهُ بكل حنان ابويّ وهو يردد قول احشورش الملك (استير ١٥ : ١٣) : « ما لكِ يا استير . . . انما الشريعة ليست عليك ولكن على العامة » . فاكبر الناسُ تواضع الشيخ واعظموا حلم المطران وحنانهُ فأخلقْ بالرؤوسين ان يقتدوا بهذه القدوة الصالحة وأحرِ بالرؤساء ان يتمثلوا بهذا المثال الجليل

اما منزلته من العلم وغزارة المعارف فجلية كل موضوع يُلقى اليهِ يدخل للبحث فيهِ كانهُ صنعُ يديهِ فيأتي على اطرافهِ ويحيط بجميع اكنافهِ ويكشف ستر الغموض عنهُ فيظهر المستور منهُ واذا تكلَّم في فنّ من الفنون حكم فيهِ حكم الواضعين. وبالجملة ان ما آتاهُ الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اسمى ما قُدّر لغير مشاهير الرجال وليس في الامر مبالغة وذلك من فضلهِ تعالى يفيضهُ على عبادهِ كما يشاء

واما اخلاقهُ فحلمهُ عظيم يسع ما شاء الله ان يسع وسلامة القلب سائدة في صفاتهِ وهو كريم يبذل ما بيدهِ قوي الاعتماد على الله لا يبالي بما تأتي بهِ صروف الدهر وهو قليل الحرص على الدنيا وحطامها بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بعظائم الامور عزوف عن صغارها وبالجملة فضلهُ كاملهِ والكمال لله وحدهُ

١) راجع حاشية ص ٩١٥ من سنة المشرق الثالثة

واما خلقهُ فالذي ذكرهُ عنهُ معاصروهُ انهُ طويل في قامته وسط في بنيته اسمر في لونهِ عصبي في مزاجهِ جليل في المنظر بشوش عند اللقاء. والذي عرفناهُ من تآليفهِ انهُ كان متوقد الذكاء قوي الحجة فصيح اللسان حسن المحاضرة رحب الصدر ثبت الجنان صبورًا وقورًا مهيبًا فاضلًا عالمًا عاملًا فيلسوفًا كاملًا قد وافاهُ الله من كمال خَلقهِ ما ينطبق على كمال خُلقهِ فسبحان الله الخلّاق الحكيم

وقد لقي ربهُ سنة ١٧٤٥ (لا سنة ١٧٤٦ كما ورد في تنبيه فصل الخطاب المطبوع في مطبعة طاميش) تغمّدهُ الله برحمتهِ ومتّعهُ بنعيم جنّتهِ

شيعة الركوسيَّة

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

كلُّ من يطّلع على مجلّة المشرق يمكنهُ ان يتحقّق ما لحضرة الاب انستاس الكرملي من سعة العلم في تعقُّب المسائل العويصة المنوطة بتاريخ الشرق وأممهِ ولغاتهِ. فانهُ لا يكاد عدد من اعداد نشرتنا يخلو من شاهد جديد على المعيّة وتوقُّد ذهنهِ

ومما ورد لهُ في العدد ١٥ من المجلة (ص ٥٧٤) شذرة عن الرَّكُوسيَّة عرَّفهم صاحب تاج العروس بقولهِ انَّهم "قومٌ لهم دين بين النصارى والصابئة" فأرتأى حضرتهُ انَّ اصحاب هذه الشيعة انما هم نصارى بلاد كورس او قورس الذين ذكرناهم في مقالتنا المعنونة بجغرافيَّة سيرة القديس مارون. ثم ختم حضرة الكاتب المبرّز مستنهضًا همّة الباحثين ليواصلوا البحث في هذا الشأن. فتلبيةً لدعوتهِ تولّينا تسطير هذه النبذة الوجيزة ليس لنفصل الامر فصلًا باتًّا بل حبًّا بمجاراة الباحثين لعلّنا نساعد على حلّ المشكل بعض المساعدة

١

واوَّل ما يعنُّ لخاطرنا انَّ الركوسيَّة غير نصارى قورس او رهبان تلك المقاطعة. وذلك ليس فقط لِما بين لفظتَي الركوسيَّة والقورسيَّة من التباين اللغويّ بل لعدم وجود حجج كافية لاثبات هذا الامر ولنا بالاحرى ما ينقضهُ

قلنا ليس من دليل يثبت راي حضرة الاب انستاس. لا دليل جغرافيّ ولا دليل

تاريخي فانَّ غاية ما يؤخذ من النصّ المنقول عن تاج العروس انَّ الركوسيَّة شيعة نصرانيَّة غير مستقيمة الايمان لكنَّ تعريف التاج لا يدلُّ على بلاد معلومة ويجوز اطلاقهُ على بلاد قورس كما يسوغ اختصاص غيرها بهِ. وليس التشابه بين القورسيَّة والركوسيَّة بيّنة كافية على ذلك كما سبق القول. وكذلك التاريخ واخبار الهرطقات فانَّنا لم نجد فيها ما يهدينا الى ترجيح راي حضرة الاب اذ نجهل تماماً احوال الركوسيَّة وتعاليمهم ومنشئ شيعتهم. نعم انَّ سكوت الكتبة الأقدمين عنهم ليس بحجَّة تنقض قول حضرتهِ ولكنَّهُ ايضاً لا يؤيد في شيء زعمهُ

قلنا انَّ لدينا بالحري دليلًا ينفي هذا المذهب. انَّ الركوسيَّة قومٌ في دينهم شيء من اضاليل الصابئة وهذا لا يصحُّ في نصارى بلاد قورس الذين وصفهم توادوريطس باستقامة الرأي فليس اذن توافق بين الفريقين

وان قيل ان توادوريطس ذكر في مصنَّفاتهِ بعض المبتدعين كانوا في الايالة التي سُقِّف عليها اجبنا انَّ هذا المؤرخ البارع افادنا عن ذلك وروى ايضاً انهُ اعاد الضالّين الى وحدة الايمان (١

ولعلَّك تقول نعم انَّ الركوسية كانوا على الدين اليقين على عهد توادوريطس وما ادراك انَّهم لم يزيغوا بعد ذلك ؟ نسلّم بأن بعضهم زاغوا ولكن تمذهبوا بمذهب اليعاقبة لأنَّنا نعلم انَّ اليعقوبيَّة فشت في بلاد قورس فشوَّ العدوى ولم تزل في انتشار الى ظهور الاسلام وكان لليعاقبة في القورسية أسقف يدبّر امورهم في عهد عبد الملك من خلفاء بني اميَّة ولعلَّ هذا الكرسيَّ الاسقفي بقي مدَّةً بعد ذلك (٢. الَّا انَّ بين اليعقوبيَّة وبين شيعة صابئة بوناً عظيماً فضلًا عن أنَّ كتبة العرب اعلم باليعاقبة من ان يخلطوهم بشيعة من الصابئة كالركوسيَّة

فثبت اذن قولنا بانَّ الركوسية ليسوا بنصارى بلاد قورس

٢

فمن يكون رعاك الله هؤلاء الركوسية ؟ ما اصلهم ؟ في ايّ شيعةٍ ننظمهم من الشيع الغابرة او الباقية ؟

---

١) راجع المشرق ٦: ٢٤٣ و٢٤٧

٢) راجع المجلة الآسيويَّة الالمانية (ZDMG, LI, 580)

نقول انهُ لمن المحال ان نأتي بجواب مستوفٍ على هـذا السؤال لولا ان نخوض ميدان الحدس والتخمين مع حضرة الاب انستاس. فالأوفق ان نعرض للقرّاء ما نراهُ اقرب الى الصواب دون الجزم برأينا

الركوسيَّة احدى الشيع النصرانية. ذلك امرٌ لا ريب فيهِ يشهد على صحَّتهِ قول الزبيديّ في التـاج يسندهُ الى لغويين سبقوهُ منهم ابن الاعرابيّ من مشاهير القرن الثاني والثالث للهجرة. ولكن ما هي هذه الشيعة ؟ نجيب أنّنا فكّرنا في بادئ ذي بدء باحدى الفرق المتعدّدة التي ظهرت في اوائل الكنيسة من الادريّة (gnostiques) وبين الادريَّة والصابئين وجوهٌ من الشبه لا تُخفى. لكنَّنا لم نقف على اسم شيعـة من شيع الادريين يهدينا الى اسم الركوسيَّة

فعدلنا الى الصابئة او المندائيَّة لعلَّنـا نحظى بالمرغوب فوجدنا في مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ٢: ١١٢و ٤: ٦٨) انَّ الصابئـين كانوا يُعرَفون ايضاً باسم « كماريون » وهو لفظ غريب غلب عليهِ التصحيف فقيل انَّ الصواب « كتباريون » وقيل « كـسكريون » وهو الراي المرجَّح نسبةً الى معاملة كسكر التي تدخل فيهـا واسط. وواسط احد مراكز الصابئين كما هو معلوم (ZDMG,XXII,556) لكنَّنا بعد الفحص وجدنا ايضاً هذا الراي ضعيفاً لانَّ التشابه بين الكسكريين والركوسيين بعيد

فبحثنا عن شيعة ثالثة تقرّب رأينا الى الحقيقة فكّرنا بالمرقيونيين. الذين يصدق فيهم التعريف الوارد في تاج العروس بانهم « قوم لهم دين بين النصارى والصابئة » لاسيَّما انَّ كتبة العرب لم يدقّقوا في مثل هذه الامور فتركوهـا مشبوهةً ملتبسة (١. وقد ذكرنا في مقالتنا عن جغرافيَّة القديس مارون انَّ تبعة مرقيون كانوا كثيرين على عهـد توادوريطس في بلاد قورس وانهُ ردَّ منهم الى الايمـان نحو عشرة آلاف شخص (٢. وكان العرب يعرفون المرقيونيين فان المسعودي في كتابهِ المعنون بالاشراف والتنبيه (٣

١) راجع تاريخ اللادريين (Matter : *Hist. du Gnosticisme* I,339)

٢) راجع المشرق في المحل المذكور

٣) الصفحة ١٤٥ و ١٧٩ و ١٨٨

وفي مروج الذهب(١ اسهب الكلام في بدعتهم واضاليلهم. فلم لا يكون المرقيونيَّة (٢ هم الركوسية ؟ هذا ممكن لولا انَّ تباين الألفاظ بينهما ظاهر لا يسمح بالتوحيد بينهما

لكنَّنا نجد هنا ما يقرّب رأينا ويجعلهُ شبيهاً بالحقّ. اعلم ان بين اشياع المرقيونيين كان رجل يُدعى مرقوس من اكبر زعمائهم. فافترق هذا عن مرقيون سيّدهِ وابتدع لهُ بدعةً اشتقَّها من المرقيونية كانت قائمة بذاتهـا (٣. ومرقوس المذكور كان يعيش في الغالب في بلاد الشـام وادخل في تعليمهِ « اخصّ آراء الادريين السوريين » كما قال مَتّر في تاريخ الادريَّة. وامتدَّت شيعتهُ حتى بلغت الشام والبلاد المجاورة للاصقاع الشرقية ففنّد اضاليلهُ آباء الكنيسة لاسيَّما السوريّين او اشاروا الى تعاليمهِ

وكذلك اشتهر بين اهل البـدع مرقس آخر ولد في فلسطين وسبق الاول شهرةً وكانت بدعتهُ اقرب الى اضاليل والنتيان منهـا الى بدعة مرقيون وعُرف اصحابهُ بالمرقوسيين (٤ فاذا قابلنا كلّ هذه الاعلامات وعرضناها على قول العرب في الركوسية وجدنا بينها اتفاقاً كما انَّ بين الأسمين تشابهاً ظاهراً فامكن العرب ان يصحّفوا المرقوسيَّة بالركوسية ويكون المراد بالركوسية هؤلاء المرقيونيين وخصوصاً اشياع مرقس منهم

ولا ننكر انَّ هذا الشرح لا ينفي كلّ الشُبَه الَّا انهُ لا ينافي التاريخ الصحيح في شيء. وهذا الراي يزيد رجحاناً لو تيسَّر لأحدٍ ان يجد في كتب العرب بين بدع النصرانيَّة بدعةً تُنسب الى رجل باسم مرقس. فان ذكرهُ في تآليفهم يكون دليلاً على شهرتهِ وخمولهِ معاً ومع ثبوت ذلك يثبت ايضاً تصحيف اسمهِ لتشابه اسم المرقوسية والركوسية. وليس الامر محالاً مع كثرة ما بقي من تآليف العرب مطموراً في زوايا النسيان. وعلى كلّ حال انَّ مقالتنا هذه تفتح باباً جديدًا للمباحثة فضلاً عن انَّها تبطل رأياً لا نحسبهُ صحيحاً اعني القول بانَّ الركوسية هم نصارى القورسية

---

١) الجزء الاوَّل من طبعة باريس ص ٢٠٠ ثمَّ ج ٦ ص ٢٨٥ ج ٨ ص ٢٩٢

٢) والشهرستاني (١ : ١٩٥) يدعوهم في الملل والنحل « مرقونية »

٣) راجع تاريخ الادريَّة (١ : ٤٠٨ الخ)

٤) راجع تاريخ البدع للقديس ابيفانيوس (في مجموع الآباء اليونان لمين ج ٤١ ص ٥٨٢ ثم توادوريطس ج ٨٣ ص ٣٥٩ وتاريخ متّر المذكور ج ٢ ص ١٦٥ واعمـال القديس يوحنا الدمشقي في مجموع مين ج ٩٤ ص ٧٠٠)

وفي الختام نشكر لحضرة الاب انستاس همّتهُ في البحث عن آثار الأقدمين لاسيَّما الآثار الشرقيَّة · ولولاهُ لفاتنا وفات كثيرين من قرَّائنا الكرام ذكر الركوسية فاستلفت اليهم انظارنا ولعلَّهُ يزيدنا قريبًا عن امرهم ايضاحًا بما يأتينا من الافادات المستقبلة

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

تتمَّة تاريخ روساء دير مار شليطا

كنَّا قطعنا مدة عن سياق الكلام في من خلف البردوط سركيس محاسب الرئيس الثاني على دير مار شليطا الذي توفي سنة ١٦٨١ كما رأيت ووجَّهنا الابصار نحو شخص كريم حلَّ في ربوع هذا الدير أيام رئاسة البردوط المذكور فتطرَّقنا الى ذكر ترجمته ومآثره وسردنا بقدر الامكان تاريخ المكتبة وما تبقَّى فيهـا من الكتب ثم الحقنا ما تقدَّم بلمحة وجيزة في بقايا مؤلفات علَّامتنا الدويهي الخطية والآن لاق بنا ان نعود الى الخطة التي التزمناها في مفتتح مقالتنا فنواصل تاريخ هذا الدير مذ ترأس عليهِ المطران يوحنا محاسب خلف البردوط سركيس حتى أيامنا هذه ونقسم الكلام ثلاثة اقسام : الحقبة الاولى وهي تمتد من سنة ١٦٨١ الى ١٧٨٧ · والحقبة الثانية من ١٧٨٧ الى ١٨٤٦ · والثالثة من سنة ١٨٤٦ الى السنة الحالية

الحقبة الاولى

ترجمة روساء مار شليطا من سنة ١٦٨١ الى ١٧٨٧

الرئيس الثالث المطران يوحنا محاسب (١

من ١٦٨١ الى ١٧١٢

هو يوحنا ابن الشدياق ايلياس محاسب ابن القس حنا محاسب باني الدير ورئيسه

١) انَّ جلَّ ما نكتبهُ عن هذا الرئيس اخذناه عن حواش كُتبت على هوامش بعض كتب المكتبة وعن كتاب حرره بيده وكتب على هامشه خلاصة حياته والكتاب هو العهد القديم بدأ بنسخه من سفر التكوين وما يتبعه الى تثنية الاشتراع وانتهى من نسخه سنة ١٦٧٥

الاول كدنَ نفسه بدير الرهبانية سنة ١٦٧٠ ايام رئاسة عمه البردوط سركيس محاسب. ولا نعرف شيئاً من ترجمته الّا ما عثرنا عليهِ محرراً بخط يده على هامش الكتاب المقدَّس نسخهُ سنة ١٦٧٥ وها كه بالحرف:

«في تاريخ ܐܚܥܓ ١٦٧٣ سامنا سيدنا البطرك اسطفان شدياق شمداني وكان في مس ١٨ نيسان. سامنا المولى المذكور شدياق انجيلي (١ وكانت الرسامة في ٢٢ نيسان. وايضاً سنة ١٦٧٥ رسمنا قساً في ٣ شباط. وسنة ١٦٨٠ رسمنا بردوطاً وسنة ١٦٨٩ في ١٢ ايلول رسمنا مطراناً »

امّا سنة رئاستهِ على الدير فكانت في حيوة عمه البردوط وهذا ما اشار اليهِ الدويهي في تاريخهِ (٢ غير انهُ لم يعيّن السنة بالحصر وقد عثرنا على هذه السنة بناء على ما رأيناه محرراً على هامش الكتاب المقدس الذي نسخهُ الرئيس المذكور كما تقدّم فبعد ان ذكر كاتب هذه الحادثة تاريخ ولادة رزق بن انطون بن ايلياس المحاسب في ١٥ آب سنة ١٦٧٨ كتب ما يلي:

« وكذلك في هذا الشهر والسنة انحطت وكالة دير مار شليطا الى القس يوحنا ابن ايلياس ابن الخوري يوحنا المحاسب من الخوري سركيس رئيس هذا الدير المبارك وكان ذلك في رضاه واختيـاره لانهُ كان انطعن في السن وكان في زمان البطرك اسطفانوس الانطاكي الذي يُعرف بابن الدويهي من اهدن وفي زمان الشيخ ابو نوفل واولاده الشيخ قانصوه والشيخ ابو ناصيف المكرمين يديمهم الرب على النصاره (النصارى) » انتهى

وتوفي المطران يوحنا محاسب سنة ١٧١٢ فتكون مدة رئاسته ٣٠ سنة وهاك تاريخ وفاته المنقوش على جدار الكنيسة الغربي ننقلهُ بالحرف وهو بالقلم السرياني:

« ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܐܚܝܒ (٣ . درج بالوفاة الى رحمة مولاه منشي هذا الدير المقدس مار شليطا المطران يوحنا المحاسب في ٦ ك ١ نهار ܓ (٤ واستمرَّ مطراناً ١٢ سنة ودفن نهار ܕ (٥ بهذا المكان وكلّ قداس يصير يوم الاربعاء من كهنة المقام لاجل نفسه تغمده الله بالرحمة والرضوان امين » انتهى

والمراد من عبارة التاريخ «منشي هذا الدير المقدَّس» ان المطران يوحنا بنى جهته

١) الاصح شماساً
٢) طالع تاريخ الطائفة المارونية صفحة ٣٤٩ في حوادث سنة ١٦٨١
٣) اي بسم الله سنة ١٧١٢
٤) ܓ اي نهار الثلاثاء
٥) اي الاربعاء

الشمالية فالقناطر والرواق القائمان حتى يومنا هما من بناء هذا الرئيس. ومن المقرَّر ان الدير تقدَّم في ايامهِ وكثر عدد سكانه فزاد في بنائهِ واوقف كثيرون على يد هذا الاسقف املاكاً خصُّوها بالدير وقد حفظ لنا السجل بعض صكوك نقتصر على ايراد واحد منها بياناً لطريقة الكتابة في ذاك الزمان وبساطة اهله ولا شك ان فقهاء عصرنا لا يسلمون بمثل هذه الصورة. وهاك صورة الصك:

ܒܫܡ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ
ܚܕ ܐܠܗܐ ܫܪܝܪܐ
ܐ

« وجه تحريره وموجب تسطيره هو انهُ اوقف بو صادر ابن المقوم من قرية درعون الدوارة التوت التي اتصات اليهِ من فرح المقوم جيرة سليمان تابت كما هو بالتحديد وقفاً للقديس مار شليطا وقفاً ثابتاً لا ينباع ولا يشترى وكان بخاطره ورضاه بصحة عقل وجسد وكتب هذه تكون بيد رئيس الدير بعد ممات المذكور لا بقا (١ فيهِ مراد ولا معاد (٢ حرر ذالك سنة ١٧١١ ربانية

شهـــود الحـ.........ـــــــــال

كاتب بو عماد	جرجس ابن الحوري	سليمان ثابت واخوه شمعون	مدلج قرياقوس الحوري سليمان الشمالي

الرئيس الرابع المطران ايلياس محاسب (٣

من سنة ١٧١٢ الى سنة ١٧٤٨

هو ايلياس بن فرنسيس بن ايلياس محاسب ولد سنة ١٦٨٨ في ٢٨ ت ١ احضرهُ عمه المطران يوحنا الى الدير وعلَّمهُ القراءة ولمَّا بلغ الـ ١٦ من عمره رقاه البطريرك يعقوب عواد درجة الشدياق وأُلقيت اليهِ ادارة شؤون الدير في سنة ١٧٠٦ (٤

١) لم يبقَ ٢) ليس لهُ ان يرجع

٣) اخذنا ترجمته نقلًا عمَّا كتبهُ القس عمنوئيل محاسب احد رؤساء الدير وعن حواشٍ حُرِّرت على هوامش كتب في المكتبة وعن اوراق مختلفة.

٤) نقلنا ذلك عن هامش كتاب عنوانه « شرح الاعتراف » وهاك العبارة بالحرف كتبها احد المطالعين في هذا الكتاب: « لمَّا كان تاريخ سنة ١٦٠٧ انحطت وكالة دير مار شليطا الى الشدياق ايلياس ابن المحاسب من يد حضرة عمه المطران يوحنا محاسب المكرم الذي نشا (انشأ) الدير وكان المذكور ابن ١٥ سنة ولم كان (ولم يكن) لهُ حملة الدير ولا كان في نفر عمه

ثم سيم شماساً من يد المطران جرجس خير الله اسطفان ثم قساً ومطراناً من يد البطريرك يعقوب عوّاد وعيّنه نائباً بطريركيًا واعطاهُ لقب « رئيس اساقفة عرقا » وتوفي المطران ايلياس سنة ١٧٤٨ ودفن داخل الكنيسة امام جرن العماد في القبر الذي دفن فيه عمه المطران يوحنا (ما تقدم عن القس عمنوئل) . وهاك تاريخ وفاته المنقوش على جدار الكنيسة العربي باحرف عربيّة :

« انتقل الى فسيح رحمة الله السيد المطران ايلياس محاسب ذو الذكر الصالح تغمدهُ الله برحمته واسكنهُ في مخادع جنته امين . وكانت وفاته يوم الثلاثة لست وعشرين يوماً خلت من شهر ك ١ ثمان واربعين وسبعمائة بعد الالف للتجسد الالهي سنة ١٧٤٨ » انتهى

وجلُّ ما نعلمهُ عن هذا الاسقف من مصادر مختلفة : اولاً اننا نرى توقيعه بين تواقيع آباء مجمعنا اللبناني . ثانياً ان البعض من الاساقفة انتخبوه بطريركاً بعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن بيد ان البعض الآخرين انتخبوا المطران طوبيا الخازن لكن الكرسي الرسولي حسم المشكل وابطل الانتخابين وعيَّن المطران سمعان عواد بطريركاً . وذلك نعرفهُ من البراءة التي انفذها البابا بناديكتوس الرابع عشر الى يعقوب دي لوكا رئيس الاديار المقدَّسة في اورشليم مؤرخة في سنة ١٧٤٣ وفي يدنا صورة هذه البراءة بترجمتها العربيَّة وهي مصدرة بما يلي :

البابا بناديكتوس الرابع عشر

« الى ولدنا المحبوب بالرب البادري يعقوب الناشي من مدينة لوكا الراهب الناذر الملّام من رهبان ماري فرنسيس الاصغرين المعروفين بالرهبان المتمسكين بالقانون الرهباني قاصد رسولي وزائر ديرهم الكائن بالقدس الشريف وباقي اديرتهم الأُخرى بتلك الاطراف (١) »

هذا جل ما نعلمهُ من ترجمة هذا الاسقف والرئيس الرابع على الدير

وفي ايَّام رئاسته حلَّ في هذا الدير البطريرك يعقوب عواد وتوفي ودُفن فيه سنة ١٧٣٣ وهاك التاريخ المنقوش بالقرب من ضريحه على جدار الكنيسة الغربي :

« انتقل بالوفاة لرحمة مولاه البطريرك يعقوب الانطاكي المصروني في ١٢ من شباط سنة

وشطارته (اي لم يكن ضارعاً عمه في اصالة الراي وحسن التدبير) تسلم الدير ودخل على الجميع والله الحمد » انتهى .

١) طالع تاريخ المقاطعة الكسروانية صفحة ١٥٤

١٧٣٣ مسيحية واستمرَّ بالرئاسة ٢٧ سنة وثلاثة اشهر وجمعه في دار مار شليطا كسروان وانوجد مطارين وكهنة ورؤسا والمشايخ الحوازنة وجمع غفير في غاية الاكرام والشان تنعمه الله برضوان النعمة . أرّخ لنياة آب للرحمة . كتب قيس الخازن »

الرئيس الخامس المطران انطون محاسب

من سنة ١٧٤٨ الى ١٧٨٠

لا نعرف من ترجمتهِ الَّا ما عثرنا عليهِ محررًا على ضريحهِ وهو بالحرف :

« بحكم الله الباري انتقل ذو الذكر الصالح السيد الجليل المطران انطون المحاسب وكانت وفاته في ١٣ ايلول مساء الاربعا ليلة عيد الصليب لدى ١٧٨٠ مسيحية فمد نفسه يا رب واضيفه (واضمه) مع قديسيك . وكل سنة يتحرر في اليوم المذكور القداس يتقدم عن نفسه بجمهور كهنة البلاد بما انهُ كان ذا غيرة على املاك القديس مار شليطا يلزم لهُ الاسعاف من الرئيس الموجود . تمَّ سنة ١٧٨٠ »

الرئيس السادس الخوري انطون محاسب

من سنة ١٧٨٠ الى ١٧٨٦

ننقل ترجمته عمَّا كتبه القس عمنوئل محاسب في سجلّ الدير وهاكها بالحرف :

« الخوري انطون محاسب ولد في ١٥ نيسان سنة ١٧٥٧ ارتسم قسًا من يد المطران جبرائيل مبارك في ٢٥ ايلول سنة ١٧٨٠ وتسلم رئاسة الدير في تلك السنة وفي سنة ١٧٨٦ قُتل ودفن في الكنيسة مع اجداده . » انتهى

ان قاتل الخوري انطون هو القس عبد الله محاسب ابن عمه وتخيل القرّاء الى ما كتبهُ صاحب المقاطعة الكسروانيَّة حيث اورد بواعث وتفاصيل هذه الفعلة الشنعاء(١ التي ارتعشت لها رفات المؤسسين الافاضل في اجداثها ومذ ذاك اليوم اخذ الدير يتقهقر وجدَّ الرؤساء في قطع دابر المزاحمة الوخيمة بان عهدوا بادارة الدير الى رؤساء يقلّدونهم هذه المهمَّة خارجًا عن عائلة بيت محاسب وعقلاء هذه العائلة انفسهم رأوا من الصواب ومنعًا للخصام ان يخضعوا لامر الرؤساء كما سترى . وهذه هي الحقبة الثانية في تاريخ هذا الدير وفيها نتكلم عن الرؤساء الذين تولوا شؤون الدير من غير عائلة بيت محاسب الى ان قام من هذه العائلة القس عمنوئل محاسب سنة ١٨٤٦ كما سترى :

١) تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ٢٠٠)

الحقبة الثانية

رؤساء مار شليطا من سنة ١٧٨٧ الى ١٨٤٦

الرئيس السابع المطران يوسف التيان

من سنة ١٧٨٧ الى ١٧٩٨

عرفنا ذلك من صكوك مشترى الدير ممضاة باسم هذا البطريرك لمّا كان مطراناً ولمّا ان تولّى رئاسة الكرسي الانطاكي رأس المطران جرمانوس ثابت كما ترى من الكتابات الآتية

الرئيس السابع المطران جرمانس ثابت

هو جرجس بن يوحنا ثابت (١ سُمي جرمانوس بعد رسامته كاهناً ولمّا دخل الرهبانيّة في دير مار شليطا في سنة ١٧٩٨ طلب رهبان الدير باتفاق الراي مع عائلة بيت محاسب ان يوليهُ السيد البطريرك يوسف التيان على الدير. وهاك العريضة المرفوعة بهذا الشأن (٢ بالحرف

سبب تحريره

انهُ حيث وجد ديرنا ماري شليطا مقبس بلا رئيس بلازم تدابيره الروحية والزمنية لزم اننا نترامى على مراحم قدس سيدنا ماري يوسف تيان البطريرك الكلي الغبطة في ان يتنازل الى طلبتنا في رسامة احدنا الشدياق جرجس ثابت كاهناً ورئيساً شرعياً على ديرنا المذكور لكونه كفوءًا للتدبير بجميع ما يلزم روحاني وجسداني ومن ثمَّ سلمناه هذا الدير بخاطرنا وتمام رضانا يدبره بموجب فطنته وديانته من دون معارضة البتة منّاً او من يتخلّف بعدنا من عيلتنا تسليماً شرعياً بجميع ارزاقه واملاكه وما يُعرف من كلّي وجزئي ما زاله موجودًا في قيد الحياة لم احد لهُ معهُ تصرف ولا تعلق ولا معارضة بوجه من الوجوه ولاجل البيان وايضاح ارادتنا حررنا هذا السند لحوته تحريراً صح في ١٥ شباط سنة ١٧٩٨ الف وسبعمائة وثمانية وتسعين مسيحية صح صح صح

قابلينه على انفسهم

عيلة بيت محاسب عموم

---

١) عن صك توليته على دير مار شليطا كما سترى ومن الشائع انهُ كان اخاً للبطريرك يوسف التيان من امه

٢) هذه الكتابة تكرّم عليَّ بها حضرة الاب الجليل الخوري يوحنا مارون السبعلي المرسل اللبناني استنسخها في قرية مشمش عن اضابير الخوري يوسف نون الذي كان كاتباً اسرار المطران جرمانوس ثابت بعد تحويله دير مار مارون كفرحي الى مدرسة سنة ١٨١١ وهذا الكاهن رأس المدرسة بعد وفاة الاسقف المذكور

ويليه كتابة من رهبان الدير وراهباته كما يلي بالحرف :

الداعي لتحريره

انّنا نحن المدونين اسمائنا ادناه رهبان وراهبات دير مار شليطا مقبس اذ رأينا ذواتنا مهملين من التدابير الروحية والزمنية ومن ثمَّ قد انتخبنا حضرة ولدنا واخينا الشدياق جرجس ثابت ان يكون كاهناً ورئيساً علينا شرعياً لكوننا مختبرين سلوكه ومناقبه الحميدة ولهذا قد انتخبناه بخاطرنا وتمام رضانا وجميعنا نكون تحت طاعته وتدبيره ومنقادين الى ارشاداته الروحية الراجعة لخلاص نفوسنا ولاجل ايضاح ارادتنا قد حررنا ذلك صحَّ تحريراً في ١٥ شباط سنة ١٧٩٨ م

محررينه

كهنة الدير

رهبان وراهبات

وبعد تقديم الكتابات الموردة اعلاه كتب السيد البطريرك صكاً سلَّم بهِ الدير لجرمانوس ثابت وهاكهُ بالحرف :

ܒܫܡ ܡܪܝܐ

ܝܘܣܦ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ

ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ ܣ

(مكان الختم)

اعلام لكل ناظر اليهِ وواقف عليهِ

هو انهُ من حيث انّنا وجدنا احوال ديرنا دير مار شليطا مقبس مهملة من التدابير المتجحة ومحتاج لمن يقوم بهِ ويهتمّ بنظامه وسياسته الروحية من زيادة المهمَّات المتعلقة بنا وبكرسينا البطريركي (١ وبما ان ولدنا الشدياق جرجس ابن حنا ثابت ظهر لدينا ذو معرفة وكفاية ونحن مختبرون سلوكه الحسن وذمته العامرة فانتخبناه ورقيناه لدرجة الكهنوت على الدير المذكور وعينا اسمهُ جرمانس. وقد سلمناه ونسلمهُ دير القديس مار شليطا المشار اليهِ تسليماً شرعياً مطلقاً وصار هو رئيساً على هـذا الدير ومختصة بهِ تدابيره واشغاله وتنظيمه وتحصينه وجميع مهماته متعلقة به لكونه هو الرئيس الشرعي عليهِ فلهُ ان يأمر وينهي ويقلع ويغرس ويهدم ويبني حسبما يرى مناسباً بالرب واذا وقع في الموضع عطل من قبل اهماله فيتطلب من ذمته وبالتزم يعطي عنهُ جواباً لله ولا يكون لاحد اعتراض عليهِ لا من قبل اخوتنا المطارنة المحترمين ولا من قبل غيرهم ولا من سائر الناس اجمعين ولان الدير المذكور صار متعلقاً بولدنا الخوري المشار اليهِ دون غيره من سائر الناس فقد صار جميع ما بيد الخوري من مال وما له دين في الذمم ودينه على الدير بموجب القائمة والدفتر

---

١) من هذه العبارة يظهر ان البطريرك يوسف التيان استمرَّ يزاول وظيفة الرئاسة على الدير حتى بعد ارتقائه الى الكرسي البطريركي الى ان عهد بالرئاسة الى المطران جرمانوس ثابت

المسجلين منّا ومن حضرة اخونا المطران يوحنا الحلو وكيلنا المحترم مختصاً بالدير المذكور وهذه الدراهم المشار اليها بالقائمة والدفتر المسجلين منا ومن حضرة اخينا المطران المذكور قد تسلمناها نحن من ولدنا المشار اليه قبل ارتقائه لدرجة الكهنوت لمّا كان عاملاً لاجل لوازم كرسينا ثم ان سائر املاك الدير صارت تحت ضبط وتدبير ولدنا المشار اليه وصار هو ملتزماً بتدبيرها من ثابت ومنتقل. واما اذا ترك تسليم الدير والرئاسة عليهِ من تلقاء نفسه ام لغير اسباب فله حق ان يدّعي على الدير بما لهُ عليهِ بموجب القائمة المسجّلة منّا ومن حضرة اخينا المطران يوحنّا ويأخذ دراهمه تماماً كونها لا تخص الدير بل قبضناها منهُ وان تعسّر الدير عن دفع المبلغ يأخذ بها رزق حيث يشا بقيمة التخمين وبعده يجري حساب عن سنين تسليمه عن مدخول ومصروف وان تبقّى لهُ شي مكسور على الدير يأخذه مع جملة حسابه ولإثبات هذا التسلم ورفع كل علة وايضاح هذا التسلم الشرعي حررنا بيده هذه الحجة المضية منّا والمسجلة بختمنا في اليوم العشرين من شباط سنة ١٧٩٨ صح ان الدفتر المسجل منّا ومن حضرة اخينا المطران يوحنّا وكيلنا المحترم اي الباقي لنا على الدير حين تسليمنا اياه بموجب الدفتر المذكور فيبقى مختصاً بالدير مع بقيّة حسابات ولدنا الخوري ما دام مستقيماً بالدير واذا خرج منهُ باي نوع كان قهراً ام طوعاً يحق لهُ طلب ذلك كما هو مذكور باطنه لان حسابنا المذكور وصل لنا منهُ حين طلبناه صح

جرى ذلك بحضورنا وعن يدنا ونحن نشهد بصحة ذلك كما هو محرر في باطنها صح

الحقير	الحقير
يوحنا الحلو	يوسف بطرس
مطران عكا والوكيل البطريركي	البطريرك الانطاكي

وبعد ان رُقّي جرمانس ثابت الى الدرجة الاسقفيّة على بلاد جبيل والبترون استمر يدير شؤون الدير الى سنة ١٨٣٢ اي سنة قبل وفاته لانهُ توفي سنة ١٨٣٣ كما يُستدل من صكوك مشترى ارزاق للدير لكن من الغريب اننا نرى ايضاً المطران جبرائيل الناصري اشترى ارزاقاً للدير سنة ١٨٢٨ باسمه فلعلّهُ فعل ذلك بطريق الوكالة عن جرمانوس ثابت. ولمّا ان حوّل جرمانوس ثابت دير ماري مارون كفرحي الى مدرسة سنة ١٨١١ وقعت بينهُ وبين السيد البطريرك ماري يوحنا الحلو مناقشات بداعي توليه على دير مار شليطا فكان من راي السيد البطريرك ان يستقر المطران جرمانوس ثابت في كرسيه في مدرسة مار يوحنا مارون وان يتخلى عن دير مار شليطا ليكون كرسياً للسيد البطريرك في كسروان فلم يرُق هذا الامر في اعين السيد جرمانوس وهذا عرفناه من صورة كتابة بعث بها هذا الاسقف لرئيس المجمع نورد منها ما يناسب غرضنا بالحرف:

فمن جهة دير مار شليطا اول ما تعمّر في كسروان ومن حين التجسد الى الان قاطنين فيه

راهبات لانهُ مضبوط للغاية وقابل كل نظام وترتيب ومنذ خمسة وعشرين سنة قاطنين بهذا الدير وارتسمنا عليه كاهنًا من غير استحقاق بموجب حجاج (صكوك) بيدنا من اصحاب الدير مؤسسيه وحجة من قدس السيد البطريرك يوسف التيان ومن قدسه (١ وحجة من حضرة الاب غوندلفي القاصد الرسولي في توليتنا وتوطيد رئاستنا على الدير المذكور (٢ ولهذا تدنا مبلغًا من الدراهم لاجل العمار ومشترى ارزاق تفوق على الحمسين كيس فالان زعم قدسه ترك حقوقنا جميعها وهو يتسلم الدير ويعملهُ كرسي بطركية. . . . . . وامَّا قيام كرسي في رعيتنا واجب علينا تتميمه ولكن الامر الذي لم يتم بالف سنة لا يمكنا تتميمه في زمان قصير ولكن متمدين مع معونة الله على تدبير كرسي لنا ولمن يتخلف بعدنا وذلك حسب الامكان بحيث يستمر حتى تولينا على ديرنا في تنظيمه وتدبير احواله الروحية والزمنية. . . الخ »

ولا تاريخ لهذا التحرير غير انهُ يرجَّح انهُ قبل سنة ١٨١٨ اي قبل عقد مجمع اللويزه الذي حكم بتعيين دير مار شليطا للراهبات مع الاديار الآتية في البند الاوَّل: « فلتعيَّن للراهبات فقط السبعة الاديار الآتية: ١ˆ سيدة الحقله. ٢ˆ مار شليطا مقبس. ٣ˆ مار عبدا هرهريا. ٤ˆ سيدة بقلوش. ٥ˆ مار جرجس علما. ٦ˆ مار الياس بلوني. ٧ˆ مار جرجس بجردق الجديد ويستثني موقتًا من هذا الحكم دير سيدة بقلوش ومار الياس بلوني بينما يجري الفحص عن حقوق اصحاب الولاية. . . » الخ (١

وحكم هذا المجمع ايضًا في البند ١٤ ان يستمر الكرسي البطريركي في قنوبين وفي البند ١٦ ان يكون كرسي مطران جبيل والبترون في مدرسة مار يوحنا مارون. لكن لم تكن بعد تعينت جبيل والبترون رعية خاصة بالسيد البطريرك اذ ذاك ولهذا الحكم رضخ السيد البطريرك والمطران جرمانوس كما هو مشهور ابدًا في روساء طائفتنا المجاهين

ومن المعروف انهُ سنة ١٧٧٩ تعين دير بكركي مقرًّا للسيد البطريرك في كسروان وقد عثرنا بين اوراق المرحوم المطران ميخايل حوب الخازن الوكيل البطريركي أبان ابعاد السيد يوسف اسطفان البطريرك الى دير الكرمل على ورقة من الامير يوسف شهاب بهذا الصدد نوردها بالحرف:

١) اي البطريرك يوحنا الحلو
٢) بيدنا صورة هذا الصك بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٨٠٩
٣) اعمال المجامع الحديثة باللاتينية المنونة « Collectio Lacensis » طالع مجمع اللويزة المعقود سنة ١٨١٨ صفحة ٥٧٨ من هذه الطبعة

وجه تحريره

وهو اننا صرفنا حضرة عزيزنا المطران مخايل الخازن الوكيل البطريركي وحضرة اعزازنا مطارنة الموارنة جميعاً في دير بكركي وان يكون كرسي البطريرك ولكنهم اياه ملك دهري ابدي مخلد للطائفة المارونية جميعها ما يحواه من عامر ودائر وماء وهوا جميع ما يُعرف فيه ملك البطريرك الذي يقوم على الطائفة مطابق لاوامر رومية وكل من تمارضهم كائناً من يكون هذا رده علينـا والان صرفنا حضرة عزيزنا الوكيل المذكور يتيم في الدير متصرفاً فيـه داخل وخارج روحاني وجسداني من غير معارض الى حينما يركز امر البطركية وحررنا لهم هذا السند يدوم لاجل رفع الملل والمنازعة في شهر ذي القعدة سنة ١١٩٣

يوسف
شهـاب

ولكن لم يسكن بكركي السيد البطريرك يوسف اسطفان بعد عودته من الكريمل ولا خلفاؤه واول من حلَّ في بكركي البطريرك يوسف حبيش كما هو معروف ومما نعلمهُ انهُ قبل حلول الحبيشي في بكركي عُقد مجمع فيها سنة ١٧٩٠ برئاسة البطريرك يوسف اسطفان

الرئيس الثامن القس انطون اصفر

١٨٤٦-١٨٣٣

ادركت الوفاة المطران جرمانوس ثابت سنة ١٨٣٣ ودُفن في مدرسة ماري يوحنا مارون لكن لم نعلم بالتأكيد اذا كان استمرَّ متولياً شؤون الدير الى سنة وفاته وقد اثبتنا فيما تقدَّم اننا عثرنا على صك مشترى باسمه للدير سنة ١٨٣٢ اي قبل وفاته بسنة وعثرنا على صكوك مشترى من سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨٣٣ باسماء اشخاص آخرين كالمطران جبرائيل الناصري والخوري فرنسيس شـلالا والقس جراسيموس الراهب اللبناني الدرعوني ولكن يمضي كل هؤلاء « وكيل دير مار شليطا » وعليه فنظن بانهم لم يكونوا رؤساء حقيقيين بل ربَّما كانوا بصفة وكلاء او مرشدين في الدير الَّا انّنا نعلم بان القس انطون اصفر البيروتي ترأس على الدير من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٤٦ وخلفهُ القس عمنوئيل محاسب وهو اول رئيس قام منهم بعد انقطاع الرئاسة عنهم بعد مقتل الخوري انطون محاسب كما رأيت وهـذه هي الحقبة الثالثة والاخيرة من تاريخ هذا الدير

الحقبة الثالثة

رؤساء دير مار شليطا من سنة ١٨٤٦ الى السنة الحاليّة

الرئيس التاسع القس عمنوئيل محاسب

١٨٤٦–١٨٧٧

ولد القس عمنوئيل محاسب سنة ١٨١٩ في ٥ ك ١ وزهد في العالم ولبس الاسكيم الرهباني في دير مار سركيس قرطبا سنة ١٨٣٨ ورقي درجة الكهنوت في دير سيدة مشموشة سنة ١٨٤١ في ٣ تموز من يد المطران عبـد الله البستاني ثم رأس دير مار يوسف البرج ودير مار عبدا معاد ثم دير مار سركيس قرطبا (١

ولمَّا كان مجمع اللاويزه الذي عُقد سنة ١٨١٨ للنظر في امر تعيين الاديار للرهبان والراهبات وكراسي لاساقفة الطائفة وحقوق اصحاب الولايات على الاديرة قد حكم بحق الولاية لعائلة بيت محاسب على دير مار شليطا مقبس (٢ وكان القس عمنوئيل ممَّن

١) عن سجل مار شليطا الذي كتبه هذا الاب بيده وضمَّنهُ شجرة عائلته

٢) هاك صورة هذا الحكم بحروفه نقلناه عن صورة لهُ وجدت بين اوراق مؤسسنا السعيد الاثر المطران يوحنا الحبيب وها كما بحروفها:

صورة الحكم المبرز من مجمع اللويزه بخصوص حق التولي على دير مار شليطا مقبس المختص بعائلة بيت محاسب

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه

انهُ اذ كان قدس قداسة الحبر الاعظم سيدنا البابا بيوس السابع ادام رئاسته قد حتم بانفصال الديورة المضاعفة بين الرهبان والراهبات الكائنة في طائفتنا المارونية. رسم ايضاً ان تقام الحقوق التي لكل من اصحاب الديورة النير مضادة للانفصال المذكور بناء على ذلك المجمع الذي التأم بامر الكرسي الرسولي في دير سيدة لويزه قد انتخبنا نحن المدونة اسماؤنا بذيله باننا نسمع دعاوي اصحاب الديورة ونحكم بموجب النواميس البيعية وتبعاً لهذه المراسيم قد حضر امامنا اولاد الياس جدعون محاسب واخوه فرنسيس بالاصالة عن نفسهم ونواباً عن باقي عيلتهم وادَّعوا بان لهم بيت محاسب دون غيرهم حق الولاية الشرعية مع كل ظروفها على دير مار شليطا مقبس الكائن بجد قرية غوسطا لكونه منقام من ارزاقهم ومنشأ من سعيهم وتعبهم فنحن قد فحصنا مدققاً هذا الادعاء وتحقق عندنا من الحجج والبينات التي تقدمت ومن المعرفة العامة ومن استعمالهم الولاية الغير منقطعة على الدير المذكور من حين تأسيسهِ الى الان وان رزق الدير هو من رزقهم وان عمـاره منهم ومن سعيهم ومن ثم حكمنا بان الولاية الشرعية مع كل ما يتبعها تحق وتختص بعائلة بيت محاسب دون غيرهم وذلك بموجب الناموس الكنائسي كما في الراس ٢٥ والراس ٣١ والراس ٣٢ والراس ٣٣ كما رسم المجمع التريدنتي المقدس في الجلسة ٢٤ والجلسة ٢١

جمع في شخصه صفات زهد وغيرة تذكّر بمزايا اجداده المؤسسين اجمعت عائلته على انتخابه وتقدمته للسيد البطريرك ولسيادة مطران الابرشية المطران انطون الخازن فاثبتا انتخابه ورأس الدير في ٢٥ ك ١ سنة ١٨٤٥ فاحسن ادارة شؤونه وادركتهُ الوفاة سنة ١٨٧٧! ودُفن في الكنيسة وقد نظم احد الشعراء تاريخ وفاته بهذا التاريخ المنقوش على ضريحه « قد نال خمساً من المولى محاسبه »

الرئيس العاشر الخوري يوسف محاسب

١٨٧٧—١٨٩٣

هو اخو القس عمنوئيل ولد سنة ١٨٢٧ في ٢ اذار وسامهُ المطران فيلبس حبيش كاهناً ورأس الدير بعد وفاة اخيه سنة ١٨٧٧ وتوفي سنة ١٨٩٣ وبعد وفاة الخوري يوسف

فنبعاً لهذا الحق نحكم بان يحق لبيت محاسب (اولاً) بان دير مار شليطا المذكور لا يتغير من حال الى حال ولو كان لزيادة خير اعظم الّا برضاهم حيث لا يكون رضاهم ام عدم رضاهم مضاداً للمراسيم الرسولية كاشتراك الرهبان والراهبات وما يشبه ذلك كما بالراس ٢٥. (ثانياً) بان يحق لهم وحدهم يقدموا الاشخاص التي تكون موافقة تسليم الدير الى مطران الابرشية سالمة بموجب رسوم المجمع اللبناني كما في الراس ٢٨. (ثالثاً) بان لهم الاكرام والملاحظة الخصوصية ممن يتسلم كما بالراس ٢٦. (رابعاً) بان اذا افتقر احدهم وما عاد يمكنهُ يحصل على معاشه الضروري فالدير المذكور يقدم لهُ المعاش الكافي من بعد المصروف اللازم لسكان الدير وخدمة كنيسته كما بالراس ٢٥. (خامساً) بان يحق لهم ويلتزموا ذمةً وشرعاً يحاموا على الدير وارزاقه وسكانه ويناظروا عليهم ويناضلوا عنهم لئلّا يصير عليهم تعدي كمناضلتهم ومناظرتهم على ارزاقهم الخصوصية من غير ان يكون لهم حق في انهم يخصصوا لذواتهم شيئاً ما من الارزاق ام اثمارها لان ذلك مما ينافي الحق الالهي المتلك الارزاق الموقوفة ويعدم حق الولاية ويسقط فاعله بالحرم المحفوظ حله كما رسم المجمع التريدنتي في الجلسة ٢٢ هذا ما حكمنا به تحريراً في ١٤ تشرين اول سنة ١٨١٨ الف وثمانمائة وثمانية عشر مسيحية

الحقير	الحقير	الحقير
المطران يوحنا	المطران	البطريرك
(مكان الختم) مارون	(مكان الختم) يوسف	(مكان الختم) يوسف تيان
وكيل بطريركي	لويس غندولفي	

صح قد قبلنا ذلك ونرسم بان يكون العمل بموجبه

الحقير	الحقير
انطون الخازن	يوحنا بطرس
(مكان الختم) مطران بعلبك	(مكان الختم) البطريرك الانطاكي

وكل سيادة مطران الابرشية السيد يوحنا مراد الى القس نعمة الله دلبتاوي ادارة الدير ثم الى القس يوسف غبالي . والآن يوجد في هذا الدير نحواً من ١٨ راهبة ناسكات يحافظنَ جهدهنَّ على القانون الذي وضعهُ المطران عبد الله قراألي الحلبي تحت نظر سيادة مطران الابرشية المشهور بدقتهِ وسهرهِ على رعاية القوانين المقدسة اطال الله بعمر سيادتهِ لتحقيق رغائب قلبهِ ونوايا المؤسسين الافاضل الذين يحق بهم ما قالهُ ابن سيراخ في مدحه الآباء الاولين: « عظامهم دُفنت بالسلام وتخبر الجماعة بمدحهم من حقب الى حقب » انتهى تاريخ دير مار شليطا

غرابة كنائس الاحباش

نبذة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

يبني الاحباش كنائسهم على هندسة غريبة في بابها لم يألف المسيحيون في كل اقطار المعمورة نظر معابد على شكلها وقد اتاحت لي الظروف ان نظرت بعض الكنائس المختصة بهذه الطائفة من المسيحيين في هرر وضواحيها وان دخلت الى اثنتين منها وهما كنيسة هرر والكنيسة المختصة بالراس مكونين بالقرب من هذه المدينة فآثرت ان اقف القرّاء الكرام على غرابة ما شاهدتهُ تفكهةً لهم فاقول:

كنيسة الاحباش عبارة عن برج كبير مستدير الشكل كلُّهُ ابواب ونوافذ متلاصقة لمّا داخلها فينقسم الى ثلاثة اقسام: القسم الأوّل الداخلي وهو عبارة عن دائرة تقدّر بربع مساحة الكنيسة وفي منتصفها مائدة التقديس . ويفصل بينها وبين القسم الثاني حائط مستدير لهُ اربعة ابواب متقابلة وهو مغشّى من السقف الى الارض بالنقوش والصور الحبشية (والاحباش يصورون السيد المسيح والقديسة العذراء وبقية القديسين سود الوجوه) وهـذا القسم يُدعى قدس الاقداس ولا يجيزون دخوله الّا للكهنة ومن تجرّأ على اجتيازه من العامّة تقطع الحكومة رجليه . والقسم الثاني دائرة أُخرى تقدّر ايضاً بربع مساحة الكنيسة ارضها مفروشة بالسجّاد النفيس ويفصلها عن القسم الثالث حائط مستدير له اربعة ابواب تقابل ابواب حائط القسم الاول وبين الابواب نوافذ

متلاصقة مختلفة العدد على حسب اتساع الكنيسة وهذا القسم الثاني لا يدخلهُ الّا المرتلون والقرّاء ويسمح دخوله للعامّة خارج اوقات الصلاة قصد التبرك بالايقونات ولمن اراد تناول الاسرار. واماً القسم الثالث وهو دائرة أُخرى كبيرة تعـدِّل بنصف مساحة الكنيسة كلها فهو معدٌّ لعموم الشعب ولهذا القسم ابواب ونوافذ متلاصقة يختلف عددها بحسب كبر الدائرة

فاذا حان وقت الصلاة تردّى الكاهن بالحلة البيعيّة ودخل القسم الاول واخذ يدور حول المائدة المستديرة وبيدهِ مبخرة لا يقلّ وزنها عن ١٠ كيلوغرامات بها اجراس كبيرة ثم يأتي المرتلون الى القسم الثـاني وبايديهم الطبول والصنوج وبعض الآلات الموسيقيّة القصبيَّة فيصطفُّون حلقة ويستندون الى الحائط ويأخذون بالترتيل والضرب على آلاتهم والاغرب ان كلاً منهم يترنم بترتيلة مختلفة عمَّا يرتّل الآخر ويضرب لحنًا غير ما يضرب به غيره ومن استطاع ان يرفع صوته ويضرب على آلته ضربًا يفوق الآخرين ضجيجهُ فهذا يُدعى مرتلًا اول. اماً الشعب المجتمع في القسم الثالث فمنهم من يأكل ومنهم من يتكلم ومنهم من يجلس ومنهم من يسجد ومنهم من يتخاصم مع رفيقـه ومنهم من يقرأ بصوت عالٍ ومنهم من يرتّل بصوت مرتفع مع المرتلين حتى يخال للغريب المارّ بجانب الكنيسة ان هناك عرسًا بدويًا او قامت القيامة. ولقـد ايقظني ضجيج صلاة الأحباش مذعورًا صباح اول يوم احدٍ قضيته في هرر ومسكني يبعـد عن الكنيسة مسافة مائتي متر فسألت ما هذا الضجيج الغير المعتاد فقيل لي ان هي صلاة الاحباش فضحكت ثم ترديت باثوابي واتيت المعبد المذكور فرأيت ما ذكرت وقلت في نفسي هذه قصَّة تفكّه القرّاء الكرام والسلام

قواعد التعريب

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

في مقالة سابقة قد اوضحنا وجوب التعريب عند الضرورة فلا بُدَّ اذن من وضع قواعد تُتبَّع وسُنن تُشترع يتمكَّن بها الاديب من الجري على احكامـا: والاهتداء

باعلامها. وها نحن موردون ذلك نقلًا عن الائمة العظماء والكتبة البلغاء.

وعليك ان تعلم قبل كل شيء ان المعرَّب من جهة الزمان على ثلاثة اقسام: الاول تعريب عصر الجاهلية. والثاني تعريب عصر صدر الحَضارة. والثالث تعريب عصر أوج الحضارة

١ فاما « تعريب عصر الجاهليّة » فلا يخلو من غرابة لانك اذا تفقّدت طوائف الكلم المعربة في ذلك العهد تراها كلها « محوَّلة عن اصلها » اي انَّها لا توافق الاصل المعرَّب عنهُ تمام الموافقة فهي لا تخلو من زيادة او نقصان او تحريف او تصحيف حتى الألفاظ التي تُناسب اوزان لغتهم وحركاتها وحروفها واصولها واوضاعها. واسبابهُ جمّة منها انَّهم اذا رأوا الكلمة طويلة زائدة على قالب اوزانهم عمدوا الى التمثيل بها من قطع تلك الزوائد او حذف بعض حروف الاصول وكل ذلك لكي يسهل إفراغها في قالبهم فانهم قالوا مثلًا: « الاسقف والفطرك والبطريق والإنجيل » ولم يقولوا « الافسقفوس والفطريركا او الفطريركيس والبطريقيوس والاونجيليون ». — ومنها انَّهم اذا رأوا ان الكلمة ناقصة عن الاصل الثلاثي ضمَّنوا فيها حرفًا ليلحق به. فان العرب الذين كانوا في العراق والجزيرة عرفوا مثلًا قبل الاسلام: اللُّرَ (بضم اللام واسكان الراء الخفيفة) وهم مع ذلك يقولون اللُّور او اللُّرّ (بتشديد الراء) وقالوا: « اللغة الدَرّيّة (بتشديد الراء والياء) وحقُّها اللغة الدَرِيَّة (بتخفيف الراء) نسبةً الى « دَرْ » قال في التاج في درر ما نصُّهُ: الفارسيَّة الدَرّيَّة بتشديد الراء والياء اللغة الفُصحى من لغات الفرس منسوبةً الى « دَرْ » بفتح فسكون: اسم ارض في شيراز او بمعنى الباب وأُريد به باب بهمن بن اسفنديار وقيل بهرام بن يزدجرد وقيل كسرى انوشروان. . . » — ومنها انهم اذا سمعوا لفظة غريبة لم تألف آذانهم صيغتها او اصولها او معناها توهَّموا فيها صيغة او اصولًا او معاني عربيَّة محضة. من ذلك انَّهم لمَّا سمعوا بكلمة « إستَروَه » او « إستَبرَه » توهموا فيها اصلًا عربيًا وهو « البرق » بمعنى اللمع فقالوا: « إستَبرَق » وهو ضربٌ من الديباج الغليظ. — ولمَّا طرقت مسامعهم كلمة « ستراط » s [t] rata أو s [t] ratum بمعنى الطريق توهموا فيها « السرط » فقالوا: « لانَّ الذاهب في السبيل يغيب فيه غيبة الطعام المسترط » (!!! لله درُّهم من اصوليين لغويين) ولمَّا ولجت آذانهم للمرَّة الأُولى كلمة « بَرْدَه سَرادر » تركوا صدر الكلمة المركبة ولم

يتركوا عجزها يفلت منهم فتمسكوا به تمسك من يحاول مفاجأة مسك طائر ذ« أفلت وانحصّ الذَنَبُ » وهذا الذنب هو « سرادر » فقالوا في تعريبها « سُرادِق » ولعلهم توهموا فيها « السَّرْد » و « الدقّ » . وليس العرب وحدهم يُعرّبون الألفاظ الغريبة من ألفاظ مألوفة على اسماعهم لاشتهار معانيها بل الافرنج يفعلون هذا كثيرًا ايضًا . فمن ذلك قولهم « Il ressemble à l'anguille de Melun, il crie avant qu'on l'écorche » وانما الاصل ان يقال: « Languille, de Melun » وهو اسم رجل من مُلُون فصحّفوها ومن ذلك ايضًا ألفاظ جمّة اوردها حضرة الاب لامنس اليسوعي في كتابه المعنون: « Les mots français dérivés de l'arabe » فان اغلبها قد صُحّفت لتصوُّر الافرنج فيها شيئًا من اصول لغتهم

٢ً واما تعريب عصر صَدْر حضارة العرب فانهُ ينقسم الى طائفتين: طائفة منها قد صُحّفت ألفاظها بعض التصحيف وطائفة نُقلت الى العربية على حالها واوضاعها الاعجميّة . ثم ان التي افرغوها في قالب عربي لم تبتعد عن اصولها في هذا العصر كما ابتعدت اخواتها في عهد الجاهلية بل اتّبعوا فيها سُنّةً هي سُنّة القواعد فنقلوا الحرف الغريب الى حرف عربي يشابههُ كما سيأتي الكلام على ذلك في محلّه وألحقوا الأوزان الغريبة بالاوزان العربيّة . من ذلك مثلاً : « السِنجاب والدَّلَق والفَيْرُوزَج والجَرْدَق » فان اصلها : « سِنْكاب ودَلَه وفَيْرُوزه وكِرْدَه » . واما الطائفة الثانية فقد نقلوها بدون تغيير صيغتها او لغتها او وزنها وان خلت اللغة العربيّة من هذه كلها . من ذلك مثلاً « القاقُم والآجرّ والدارصيني والخَيْدِيقون والرَّساطون والدَوْغباج والإسفيذباج » الخ . فان هذه الألفاظ كلها وغيرها تُعدُّ بالمئات لا اوزان لها في اللغة العربيّة ومع ذلك أبقَوْها على حالتها حرصًا على أصلها وطلبًا لمعناها عند التكلم بها مع اصحابها

٣ً واما تعريب عصر أوج الحضارة فانهم اطلقوا فيه العنان للاوزان والصيغ الاعجميّة ولم يعودوا يلتفتون الى قواعد من تقدّمهم بل ولم يبتعدوا من سلامة الألفاظ ولو قليلًا ولذا أفرغوا كل وسعهم في حفظ صحة الكلم الدخيلة والذي دفعهم الى ذلك توغّلهم في الحضارة والمدنيّة وكثرة مخالطتهم للاجانب وائتلاف آذانهم لسماع حركاتٍ وحروف واوزان وكلم اعجميّة لم يكن لهم عهد بها . ولانهم رأوا انّهم في حاجة ماسّة الى حفظ سلامة الألفاظ على حالتها وصيغتها بدون ان يكسروها لكي لا

يشوّه هذا الكسر سبكَ اللفظة الاصليّ فتذهب سدًى ويضيع معناها عليهم وعلى الاجانب. وعليه فلمّا حرصوا على حفظ معانيها حرصوا ايضًا على اللفظ بها على حدّ ما كان يفعلهُ الاعاجم

ولمّا نظر النحاة ما فعل الاوّلون والتالون وكيف تصرّفوا بالألفاظ الدخيلة وضعوا القواعد التالية بغضّ النظر عن عصر تلك الألفاظ. قال سيبويه امام النحاة (ثم اورد نصّهُ كثيرون آخرون او ارتأوا رايهُ بدون ايراد النص بحرفهِ) ما حرفهُ (اطلب كتاب سيبويه ٢ : ٣٤٢ من الطبعة المصريّة):

« اعلم انهم ممّا يغيّرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة فربما الحقوهُ ببناء كلامهم وربّما لم يُلحقوهُ. فامّا ما الحقوهُ ببناء كلامهم فدِرهَم الحقوهُ ببناء هِجرَع. وبَهرَج الحقوهُ بسَلهَب. ودِينار الحقوهُ بدِيماس. وديباج الحقوهُ كذلك. وقالوا إسحق فالحقوهُ بإعصار. ويعقوب فالحقوهُ بيربوع. وجَورَب فالحقوهُ بفَوعَل. وقالوا: آجُور فالحقوهُ بعاقول. وقالوا: شُبارِق فالحقوهُ بعُذافِر. ورُستاق فالحقوهُ بقُرطاس لمّا ارادوا ان يُعرّبوهُ الحقوهُ ببناء كلامهم كما يُلحقون الحروف بالحروف العربية. وربّما غيّروا حالهُ عن حالهِ في الاعجمية مع الحاقهم بالعربيّة غير الحروف العربيّة فابدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيًّا غيرهُ. وغيّروا الحركة وابدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون بهِ بناء كلامهم لانهُ اعجميُّ الاصل فلا تبلغ قوّتهُ عندهم الى ان يبلغ بناءهم وانما دعاهم الى ذلك ان الاعجميّة يغيرها دخولها العربيّة بابدال حروفها فحملهم هذا التغيير على ان ابدلوا وغيّروا الحركة كما يغيّرون في الاضافة اذا قالوا هنيٌّ. نحو: زَبانيّ وثَقَفيّ. وربما حذفوا كما يحذفون في الاضافة ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون بهِ البناء وما لا يبلغون بهِ بناءهم وذلك نحو: آجُرّ وإبريسم وإسمعيل. وسَراويل وفَيرُوز والقَهرمان. وقد فعلوا ذا بما أُلحق ببنائهم وما لم يُلحَق من التغيير والابدال والزيادة والحذف لما يلزمهُ من التغيير. وربما تركوا الاسم على حالهِ اذا كانت حروفهُ من حروفهم كان على بنائهم او لم يكن نحو: خراسان وخُرَّم والكُركُم. وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروهُ عن بنائهِ في الفارسية نحو فِرِند وبَقَّم وآجرّ وجُربُز. انتهى

وقد لخّص هذا الكلام واوجز فيهِ ابو حيّان اذ قال (المزهر ١ : ١٣١):

الاسماء الاعجمية (علمًا كانت او نكرةً) على ثلاثة اقسام: قسمٌ غيّرتهُ العرب والحقتهُ بكلامها فحكمُ ابنيتهِ في اعتبار الاصلي والزائد والوزن حكم ابنية الاسماء العربيّة الوضع نحو: دِرهم وبَهرج. وقسمٌ غيّرتهُ ولم تلحقهُ بابنية كلامها فلا يُعتبر في القسم الذي قبلهُ نحو: آجُر وسِيسَنبَر. وقسم تركوهُ غير مغيّر فما لم يُلحقوهُ بابنية كلامهم لم يُعدّ منها وما الحقوهُ بها عُدَّ منها مثال الاول: خراسان لا يثبت بهِ فُعالان. ومثال الثاني خُرَّم أُلحق بسُلَّم. وكُركُم أُلحق بقُمقُم. اهـ

فقد اتضح مما تقدَّم ايرادهُ من كلام هذين الإمامين (وتبعهما جمهور اللغويين والنحاة) ان الكلام المعرَّب يُقسم الى قسمين عظيمين وهما: قسم غُيِّر بناؤهُ. وقسم لم يُغيَّر. وعليه فان دعتك الحاجة الآن الى تعريب الفاظ فايَّ الطريقتين تتبع ؟ — قلتُ: انك مخيَّر في ذلك ألَّا انك ان الححتَ عليَّ بابداء رأيي الخصوصي قلتُ لك: ان كنت تريد تعريب اسماء علَمية فلا مندوحة لك من ان تُفرغ كل ما في كنانة وسعك لتُصوِّر الاسم الاعجمي على حدِّ ما ينطق به اصحابهُ الاعاجم فتسعى في ايجاد حروف تؤدِّي النطق بها على احسن وجهٍ وتتقيَّد بعض الحركات المعروفة عندهم بحيث لا تبتعد عن تأدية الاصل الاعجميّ حقَّ التأدية. وهذا ما اشار به احد الائمة الأعلام من كُتَّاب العربيَّة وكبير منتقديهم واميرِ جهابذتهم وهو ابن خلدون الطائر الصيت اذ قال في مُقدَّمتهِ (ص ٣٠ من الطبعة البيروتية الاولى)

«ليست الامم كلها متساوية في النطق بالحروف فقد يكون لأمَّةٍ من الحروف ما ليس لامَّة اخرى. والحروف التي نطقت بها العرب هي ٢٨ حرفًا كما عرفت. ونجد للعبرانيين حروفًا ليست في لغتنا. وفي لغتنا ايضًا حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم. ثمَّ ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميِّزة باشخاصها كوضع الف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين. واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملًا عن الدلالة الكتابيَّة مغفلًا عن البيان. وربَّما يرسمهُ بعض الكتَّاب بشكل الحرف الذي يكتنفهُ من لغتنا قبلهُ او بعدهُ. وليس ذلك بكافٍ في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصلهِ. ولمَّا كان كتابنا مشتملًا على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانهِ ولم نكتفِ برسم الحرف الذي يليه كما قلناهُ لانهُ عندنا غير وافٍ بالدلالة عليهِ. فاصطلحتُ في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجميّ بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانهِ ليتوسَّط القارئ بالنطق بهِ بين مخرجَي ذينك الحرفين فتحصل تأديتهُ. وانما اقتبستُ ذلك من رسم اهل المُصحف حروفَ الإشمام كالصراط في قراءة خلَف فان النطق بصادهِ فيها معجم متوسّط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي. ودلَّ ذلك عندهم على التوسُّط بين الحرفين. فكذلك رسمتُ انا كل حرف يتوسَّط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بُلُكِّين فاضعها كافًا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او اثنين فيدل ذلك على انهُ متوسّط بين الكاف والجيم او القاف. وهذا الحرف اكثر ما يجيءُ في لغة البربر (١). وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسّط بين حرفين من لغتنا بالحرفين

---

١) قلنا: وقد اتفق اليوم الكتَّاب من فرس وترك وعرب على ان يصوّروا الكاف المتوسطة

معًا ليعلم القارئ انهُ متوسّط فينطق بهِ كذلك. فيكون قد دللنا عليهِ. ولو وضعناهُ برسم الحرف عن جانبهِ لكنّا قد صرفناهُ من مخرجهِ الى مخرج الحرف الذي من لغتنا» وغيّرنا لغة القوم. فاعلم ذلك (١ ». اه.

هذا وقد علمت ممّا مرَّ بك من كلام العلّامة المذكور عند قوله: «ولو وضعناهُ برسم الحرف الواحد عن جانبهِ لكنّا قد صرفناهُ من مخرجهِ الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيّرنا لغة القوم» انهُ لا يسوغ للكاتب ان يُغيِّر الاعلام الاعجميَّة اذ بذلك يُغيِّر لغة القوم وهو ممّا يجب ان يتحاشاهُ ويتنكّب عنهُ لانَّ من الاعلام ما اذا غيّرت منها شيئًا طفيفًا زهيدًا انتقل اللفظ الى مسمّى آخر مثلًا هذه الألفاظ الآتية: Pologne Bologne, Boulogne, Boullogne فلا تمتاز الواحدة عن الاخرى الّا بشيء يسير. ومثل قولك ايضًا في نعوتهم ومنسوباتهم: romain, roumain, roman واشباه هذه الألفاظ كثيرة في اللغات الافرنجية وعليهِ فلا ندحة لك عن اتخاذ حروف وحركات واصطلاحات كتابية تنجيك عن مزلق الابهام والايهام. وتبوّئك من صدق التأدية أحسن مُبوَّإٍ ومقام

الّا انهُ بقي لك من هذا البحث امرٌ واحدٌ وهو: انهُ اذا اشتهر العلَمُ الاعجميّ بعلمٍ آخر يقابلهُ عند العرب ويسدّ مسدَّهُ جاز لك ان تترجمهُ بمقابلهِ العربيّ لاشتهاره عند القومين بصورتين قديمتين معلومتين. مثلًا انك ان سمّيت بيير Pierre وبَول Paul وجاكوب Jacob وجوزيف Joseph وماري Marie بالاسماء العربيّة: «بطرس وبولس ويعقوب ويوسف ومريم» فيمنا الاسم الاصلي في تلك اللغة الاعجميَّة الّا انك

بينها وبين الجيم والقاف بهذا الرسم « ڽ » او « گ » اي بكاف منقّطة بثلاث نقط من فوق او بكاف عليها خط طويل موازٍ لمضد الكاف. وفي عهد ابن خلدون لم تكن هذه الطريقة شائعة عند الكتّاب لبُعد الكاتب عن ديار الفرس والترك. وعليهِ فلا حاجة اليوم الى التنقيط على ما اشار اليهِ ولا الى رسم حرف دقيق في داخل الحرف الكبير او خارجًا عنهُ لان الناس اذا تواطؤوا على شيء فازوا بالمطلوب ولم يعُد هناك حاجة الى اخراجهم من دائرة ذلك الاتفاق لتقيدهم بقيود توثقهم بوثُق الشقاق وتبعدهم عن الغاية المطلوبة في مثل هذا الاصطلاح

١) قلنا: وقد صوّر الكُتّاب سائر الحروف الموجودة عند العجم والتي لا وجود لها عندنا فاتّفقوا على ذلك بحيث اننا قد اصبحنا في غنًى عن التذرُّع بالواسطة التي ألمع اليها المؤلف المجهد. وسوف نذكر تلك الحروف مع صورها ورسوما بل مع ذكر وجودها عند بعض قبائل العرب في عهد الجاهلية وبعده وموعدنا في ذلك في عهدٍ قريب ان شاء الله تعالى

اذا عدلت عن هــذه الجادَّة الى نهج المنهج اللاحب الذى يؤدّيك الى تادية الأعلام بحكاية اصلها ولفظها كان ذلك احسن وادلَّ على اصحاب الاسماء وجنسياتهم لانك اذا ذكرتَ امامي واحدًا باسم پيتر Peter عرفت انهُ انكليزيّ الاصل. واذا سميت واحدًا باسم پيير Pierre فهمت انهُ فرنسيّ الوطن. واذا قلت پدرو Pedro تصوَّرت للحال انهُ اسپانيولي المحتد وهكذا الى آخر ما هناك من الاعلام. وانت تعلم بان الغاية من تلك الاسماء تعريف الشخص في جميع احواله ان امكن. وان توصَّلت الى ان تصوّرهُ لنا احسن تصوير بلفظة واحدة كانَّك تمثّلهُ امامنا أبدع تمثيل عُدَّ ذلك من احسن انواع البديع والبيان والبلاغة (لهُ بقيَّة)

ميمر ثاودوروس ابي قرَّة في النصرانيَّة

ردّ على الاراسيس القديمة (تتمَّة)

عُني بنشره حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا الراهب الباسيلي المخلّصي

وحيث خرج نسطوريوس فقال في المسيح ما قال وأنكرت الكنيسة قولهُ رفعتْهُ الى الجمع المقدس كعادتها. فاجتمع بافسس جمعٌ عليه بامر اسقف رومية فطرحهُ الجمع المقدَّس وابطل قولهُ. وقبلت الكنيسة المقدسة ذلك الجمع ونفت نسطوريوس وجحدت قولهُ وعلمت انهُ ليس لها نظر مع ذلك الجمع بل قد فُرض عليها من الروح القدس ان تتبعهُ على نحو ما بيّنّا

فانت ايهــا النسطوري اعلم انك في خطإ وانك زللتَ عن الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة ونُفيتَ من المسيح وبرئتَ من سكانته اذ لم تقبل رأي الجمع المقدَّس الذي فرض روح القدس قبولهُ وهو رأي روح القدس. والعجب منــك انك اتَّبعت نسطوريوس وانت لم تُؤمَر باتباعه ونضَّلتهُ على مار بولس وبرنابا جميعًا حيث ترى الكنيسة لم تقبل هذين وهما نور البشر فقبلتَ انت نسطوريوس وتركت الجمع المقدس الذي اتباعه لازم لك واتخذتَ لنفسك سندًا واهيًا ووثقت بعقل انسيٍّ وتركت توفيق روح القدس. واعلم انهُ لا عذر لك حيث قبلت رأي الجمعين الاوّلين مسترسلًا اليهما بلا تفتيش كما امرك روح القدس ونبّتَ نفسك عن هــذا الثالث الذي قد أُمرتَ من روح القدس

بقبوله كما أمرتَ بقبول ذينك واشركت عقلك مع رأيه ولم تطمئن الى روح القدس الموفّق له والناطق به. وان انت تجنّيت العلل على هذا الجمع فاعلم ان اريوس واصحابه يتجنّون على الجمع الاول ويلحقون به العيوب بجهدهم. ومقذانيوس واصحابه يتجنّون على الجمع الثاني ويعيبونهُ ولا يالون. وكما انهُ ليس لهما ولا عندك عذر في تجنيهم على هذين الجمعين كذلك يلزمك ان تعلم انهُ لا عذر لك عند المسيح في تجنيك على هذا الجمع الثالث

وحيث خرج اوطيخيوس وديسقوروس وقالا في المسيح ما قالا فانكرت الكنيسة قولهما فنهض من الآباء القديسين من يخاصمهما فلم تقبل الكنيسة لا منهما ولا ممّن يخاصمهما ولكنها رفعتهما الى الجمع المقدس كعادتها. فاجتمع عليهما الجمع الرابع بخلكيدونية بامر اسقف رومية فطرحهما وابطل قولهما فقبلت الكنيسة قول هذا الجمع كما قبلت الثلاثة الجامع واقصت اوطيخيوس وديسقوروس ولفظت قولهما. وعلمت انهُ ليس لها نظر مع هذا الجمع وأيقنت ان الراي الذي خرج منهُ هو راي روح القدس لا محالة

وانت يا يعقوبي ما بالك قبلت الثلاثة الجامع مسترسلًا اليها من غير ان تجعل لنفسك نظرًا مع رأيهم ولم تقبل هذا الجمع الرابع ؟ ولكنك آثرت عليه اوطيخيوس وديسقوروس وتركت ان تعتمد على عمود الحقّ الذي جعلهُ لك روح القدس واعتمدتَ على قصبةٍ مرضوضة وامكنتَ من لحمك ان يشرَّح ويسيل دم نفسك وتموت موتًا روحانيًّا لحاجةٍ في اتباع من لم يُفترَض اتباعهُ بل قد نُهيتَ عنهُ كما نُهيت عن الحيَّة التي صارت اداةَ الطغيان. ثم لم تزل تنتقل من رأيِ رجل الى راي غيره يغيّرون دينك ويمسخونهُ حتى استوجبتَ ان تسمَّى كثير الرؤوس ومن لا راس له(١) واشبهت حجرًا يزول عن الاساس فهو لا يزال يتدحرج حتى يهبط الى اسفل السافلين. كذلك دحرجك اوطيخيوس وديسقوروس وثيادسيس وسواريوس ويعقوب وغيرهم وادخل عليك كل واحد منهم في دينك الغشّ الذي وافق رايه وخالف كل واحد منهم صاحبه وخالف الحق

١) اشارة الى شيعة منهم دُعيت « acéphales » اي من لا رأس لهم

٢) كلّ من هؤلاء زعيم لشيعةٍ خاصة من اصحاب الطبيعة الواحدة نسبت اليهِ وعرفت باسمهِ تختلف كل واحدة منها عن الاخرى وتخالف كلّها تعليم الكنيسة في شأن اتحاد المسيح ولم يزل الى اليوم هذا الاختلاف بين هذه الشيع باقيًا عند اليعاقبة والسريان والأقباط والارمن من غير الكاثوليك

فان تجنَّيت على هذا المجمع المقدَّس فلا ترى انك سبقت مَن قصَّبَ (١ المجامعَ المقدَّسة الى ما قد تخلَّف عنهُ من كان قبلك. فلعمري ان اريوس ومقذانيوس ونسطوريوس واصحابهم ليقصب كلُّ فريق منهم المجمع الذي طرحهُ قصبًا لا يترك فيهِ جهدًا. ولست تقول في هذا المجمع الرابع الَّا دون ما يقول كل واحد من اولئك في المجمع الذي اقصاه. فان حسَّنتَ لاولئك مذمَّة المجامع المقدسة الماضية قبل هذا المجمع فألحق برايهم وقُلْ بقولهم واخلع عنقك من نير روح القدس جهارًا. وان كنت تعيب على هؤلاء تجنّيهم على تلك المجامع المقدسة وتقضي عليهم بالضلالة في مخالفتهم اياها فعِبْ على نفسك تجنّيك على هذا المجمع الرابع المقدس واقضِ على نفسك بالضلال في مخالفتك اياه

امَّا المجمع الخامس فليس احد يحامي عن الاراسيس التي حرمها حتى نحاوره بمثل ما حاورنا بهِ اصحابه ونلحق بهِ مثل ما الحقنا بهم

ثم خرج مقاريوس وقورش وسرجيوس وقالوا ايضًا في المسيح ما قالوا. فأنكرت الكنيسة قولهم وبارزهم ناس من الآباء يجادلونهم ويدعون قولهم. فلم تقبل الكنيسة منهم قبولًا صارمًا لا منهم ولا ممَّن كان يجادلهم بل رفعتهم كلاهما الى المجمع. فاجتمع المجمع السادس المقدس بالقسطنطينيَّة بامر اسقف رومية (٢ فطرحهم وابطل قولهم فقبلت الكنيسة المقدسة هذا المجمع كما قبلت المجامع التي كانت قبله وهجرت مقاريوس واصحابهُ وبصقت قولهم

فما بالك يا (منوثلي) قبلتَ المجمع الاوَّل والثاني والثالث مسترسلًا منبسطًا ولم ترَ ان لك مع رايهم رأيًا كما امرك روح القدس. فلمَّا بلغتَ المجمع السادس كانك قد نسيتَ تعليم روح القدس وسكرتَ سكرًا لم تصحَ بعدهُ فاقبلتَ على ابائك الذين يستحقون منك الكرامة وقد أُمرت من روح القدس ان تقيم على حدّهم وجعلتَ تشتمهم كالكلب الكَلِب وتزيل حدَّهم وهتكتَ السياج الذي كان يحفظك من الشيطان فخرجت تمكّن من نفسك الذناب. فهذا منك تفريط يؤديك الى الهلاك. فان تجنَّيت على هذا المجمع المقدس فاعلم انهُ قد سبقك من كان قبلك من الاراسيس

---

١) يُقال قصبهُ اذا عابهُ ولامهُ

٢) ترى ان ابا قرَّة يذكر دائمًا رئاسة الاحبار الرومانيين على المجامع كما يقول الكاثوليك

الى تجنّي كل فريق منهم على المجمع الذي طرحهُ ولم يثنهِ شيء عن ان يلحق بهِ كلّ ما ادبَّ الشيطان في قلبه. فان كنت تعيب على اولئك تجنّيهم على تلك المجامع فعاجلْ نفسك بالعيب في تجنيك على هذا المجمع السادس وارتدَّ عن تيهك وادخل في رشدك.
وان كنت لا تعيب على اولئك تضيُّهم تلك المجامع المقدسة فاخلع العذار من راسك اصلًا والحق باصحابك وقُل بقول كلّ اراسيس كانت منذ ذلك

ولكن ما عسى ان يبلغ من تجنيكم يا معشر الهراطقيين عامة على هذه المجامع. انما يتقم احدكم على هــذه المجامع المقدسة لاحد ثلاثة اشياء: امّا ان يقول ان المجمع الذي ينقم عليه بئس ما قضى بهِ من جهل او جَور. وامّا ان يقول ان هذا المجمع انما جمعهُ احد الملوك فلذلك ينبغي الّا يُقبل. وامّا ان يقول ان المجمع الذي كان قبــل هذا المجمع الذي ينقم عليه كان قد جزم الّا يُزاد على ما قد وُضع ولا يُنقص منهُ فلذلك لا ينبغي ان يُقبل هذا المجمع الذي بعده

فان قال احدكم في هذه المجامع انهُ بئس ما قضى بهِ من قبل جهل او جور فقد ادخل قائل هذا القول رأيهُ فيما لم يجعل اليهِ روح القدس ان ينظر فيــه ولا الى غيره. وتداخلتهُ العظمة ومنعتهُ من ان يذلَّ لقضية الجمع. واستوجب الموت الروحاني لا محالة كما تسمعون ناموس موسى المقدس لا يأذن لاحدٍ من الناس ان يكون لهُ نظر مع المجمع او ان يستبدَّ برأي نفسه دون قضيَّة الجمع. والَّا فقد لحقهُ القتل عزيمةً لا محيص لهُ منهُ

وان قلت يا هرطيق في المجمع الذي تنقم عليه انهُ انّما جمعهُ الملوك فلذلك لا ينبغي ان تقبل مَن ذكر الجمعين الاولين حيث كل مجمع يقبلهُ احد ممَّن ينتحل النصرانيَّة اليوم انهُ انّما جمع كلَّ واحد منها ملكٌ من الملوك. وقد يعرف هذا كل احدٍ ان مجمع نيقية انما جمعهُ قسطنطين الملك الكبير. والجمع الثاني جمعهُ بالقسطنطينيَّة ثاودوسيوس الملك الكبير. والجمع الثالث جمعهُ بافسس ثاودوسيوس الملك الصغير. والمجمع الرابع جمعهُ بخلكيدونية مرقيانوس الملك. والجمع الخامس جمعــهُ بالقسطنطينيَّة يسطينيانوس الملك الكبير. والمجمع السادس جمعهُ بالقسطنطينيَّة قسطنطين الملك ابن هرقل. فانت يا (منوثلي) ان نقمتَ على المجمع الخامس والسادس بان الملوك جمعتهما وقد استحقّا ألّا يُقبلا لانَّ الملوك قهرت فيهما الناس ولهما فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الرابع

والمجامع التي قبله. لان كل واحد من المجامع انّما جمعهُ ملك كما قد بيّنّا. وكل هرطيق طُرح في احد هذه المجامع قد يعتلّ مثل علّتك ويقول ان الملك الذي جمع ذلك المجمع هو الذي قهر الناس ان يطرحوه وبقهره اجتمع ذلك المجمع عليه. فان اجزتَ لنفسك الّا تنفي من قضية هذين المجمعين لان الملوك جمتهما فأجِزْ لليعقوبيين والنسطوريين ولمقذانيوس واريوس واصحابهم انتفاء كل فريق منهم من قضيــة المجمع الذي طرحهُ لانهُ انّما جمعهُ ملك. وان كنت لا تجيز لاولئك ان ينتفوا من قضايا تلك المجامع لجمع الملك اياها فلا تجيزنّ لنفسك الانتفاء من قضية هذين المجمعين لجمع الملوك اياهما

وانت يا يعقوبي ان نقمت على المجمع الرابع الذي طرحك بان الملك جمعهُ ولذلك يستحق ان لا تقبل قضيته لانّ الملك كلّف الناس فيــه ولهُ. فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الثالث والمجمعين اللذين كانا قبلهُ اذ كان جمع كلَّ واحد منهما ملكٌ من الملوك. وأوسع نسطوريوس ومقذانيوس واريوس عذرًا حيث لم يقبل كلّ واحد منهم القضيّة التي جرت عليه من المجمع الذي طرحهُ. فقد يعتلّ كل واحد من اولئك بمثل علّتك ويقول ان الملك قهر المجمع الذي طرحهُ ان يجتمع عليــه وقهر الناس ان يقبلوا قضية ذلك المجمع. فان اجزتَ لنفسك دفع قضية هذا المجمع الرابع لجمع الملك ايّاه فأجِز لكل واحد من اولئك دفع قضية المجمع الذي طرحهُ. وان كنت لا تجيز لكل واحد من اولئك دفع قضيّة المجمع الذي طرحهُ فلا تجيزنّ لنفسك دفع قضيــة ذلك المجمع الرابع ولا تكن ظالمًا عاديًا او مجنونًا

وانت يا نسطوري كذلك نبدي عليك هذه الحجّـة كما قد لزمتِ اليعقوبيين (والمنوثليين) فليس لك ان تنقم على المجمع الذي طرحك لجمع الملك ايّاه وتدفع لذلك قضيّته والّا فقد اوسعت مقذانيوس واريوس عذرًا بدفع كل واحد منهما قضية المجمع الذي طرحهُ فقد لعمري يعتلّون بمثل علّتك. وان انت فعلت هذا فقد هدمتَ كلًّ ما تؤمن به ممّا قبلتهُ من ذينك المجمعين. وهـذا سبيل ليس يوصل به الى عيب احد من تلك المجامع بل ينبغي للكنيسة ان تحمد المسيح حيث ذلّل الملوك لها ان يخدموا اباءهـا ومعلميها لان كل ملك اجتمع مجمعٌ من هذه المجامع في زمانه انما كان من ابرّ الجميع اذ كان يرفده بضيفانه ويكفّ الشعب فيــه لتمكين الآباء من النظر في الدين على هدوّ ودعة وتنفيذ قضيته. فامّا الملك فانهُ لم يكن اليه من النظر في امر الدين ولا

من اثبات القضيـة في شي‌ء. وانما كان خادماً للآباء سامعاً لهم مطيعاً قابلاً لكل ما قضوا بهِ في امر الدين من غير ان يشركهم في شي‌ء من النظر. وان احــدٌ منكم يا معشر الاراتقة الذين ينتحلون دين النصرانيّة اليوم عاب معونة الملوك لهذه الجامع وحضورهم اياها فقد ابطل من قبلهِ كلّ ما في ايدي النصارى واعادنا الى ان نتمسّك بنسخ كتب العتيقة والحديثة. فلا يبالي احدنا ان قال مثل آريوس ان الابن مخلوق او ان قال مثل مقذانيوس ان روح القدس مخلوق وان قال مثلما قال وثلم حائط الكنيسة الحافظ للرعية من كل ذئب خاطف طُرد منهـا وافسد الدين كله وصيَّر النصرانيّة يهوديّة

وان قلت يا هرطيق كائناً مَنْ كنتَ من الهراطقة في الجمع الذي طرحك « ان الجمع الذي كان قبله حتم أَلّا يُزاد ولا يُنقص ممّا وضع هو وكذلك لا ينبغي لهـذا الجمع الذي كان بعدهُ ان يُقبل ». فاعلم انك تقول ما لا تعقلهُ ولا تدري ما غايتهُ. لان قضيّة كل مجمع من هذه الجامع المقدَّسة انّما هي دواء يهيئهُ روح القدس تدفع بهِ عن جسد الكنيسة داء تلك الاراسيس التي حرمها ذلك الجمع. وحيث يقول ذلك الجمع انّهُ ليس لاحدٍ ان يزيد على ما قد وضع ولا ينقص منهُ انما يعني ليس لاحدٍ ان ينتقض علينا ولا يحمل لداء هذه الاراسيس التي حرمناها دواء غير هذا الذي هيئناه بروح القدس. لان روح القدس لا ينتقض على نفسهِ وليس يقول هـذا الجمع للكنيسة ان هاج فيها مرض اراسيس اخرى بعد مرض تلك الاراسيس التي هو طرحها فليس للآباء الذين هم اطباؤها ان يجتمعوا ويقصوا عنها ذلك المرض كما اقصى هو المرض الذي هاج في زمانه. ولو فعل ذلك الجمع وحاشا لهُ لكان قد خلَّى الكنيسة ان يستحكم عليها مرض كل اراسيس يحدث من بعده ومنع الآباء من مداواتها. وهذا خلاف روح القدس الذي جعل هذه الجامع عوضاً عن السليحيين لا تزول الى الدهر كما قد جعـل موسى تلك الجامع التي امر بطاعتها خلفاً منهُ لا يزول في كل ما حدث من الاختلاف من اهل الناموس

وان كنتَ يا هرطيق تلجّ وتقول « ان الجمع الذي تقبلهُ انما حرَّم أَلّا يُزاد على قضيتهِ ولا يُنقص منها ملتمسـاً أَلّا يكون بعدهُ مجمع آخر » فقد حان لك ان تبطل الجامع كلها الاوّل منها والآخر. لان مار بولس قد قال للكنيسة انهُ ان اتاها هو نفسه او ملاك

من السماء يعلّمها غير ما علّمها فهو محروم. وقد اتسع من هذا القول بقدر قولك يا هرطيق لآريوس ان يقول لجمع نيقية: اني لست اقبل تعليمك لان مار بولس قد حرم ألّا يعلّم احد الكنيسة غير ما قد علمها هو. ولمقذانيوس ان يقول للمجمع الثاني اني لا اقبل منكم تعليكم لان مار بولس قد حرّم ألّا يعلّم احد الكنيسة غير ما قد علمهُ هو وان المجمع الذي كان قبلكم قد حرّم ايضاً مثل ذلك لا يزاد على قضيته ولا ينقص منها. وان حسن هذا عندك يا هرطيق فقد رددتنا الى ان نتمسك بنسخ كتب العتيقة والحديثة ولا يبالي احدنا ان يقول كما قال اريوس ان الابن مخلوق. ولا يضرهُ ان يقول كما قال مقذانيوس ان روح القدس مخلوق. ولا يعاب على احد ان يقول بقول مَن احبَّ من الهراطيقين. وقد صيّرت من قبلك النصرانيّة يهوديّة كما قد قلنا بدءًا

ولكن ليس الامر على ما تذكرون يا معشر الهراطقة وبئسما فهمتم قول الآباء بل انما تشبه الكنيسة المقدسة ابنَ الملك وتشبه الآباء اطباء قد وكّلهم الملك بابنه ان يحفظوا جسده وان يدفعوا عنهُ كل داء وسقم. وتشبه الاراسيس الامراض والاسقام. وهؤلاء الاطباء الموكَّلون بهذا الجسد ليس يخطأ احدهم البتة ان نظر جسد ابن هذا الملك قد اعتراه مرض فدفع المرض عن جسده بدواء هيَّأهُ لهُ ثم قال: انهُ ليس لاحد سلطان ان يغير شيئاً من هذا الدواء الذي هيَّأتهُ انا. فنقول ان هذا الطبيب انما يريد بهِ ان ليس بمأذون لاحد ان يعالج ذلك المرض الذي هيَّأ لهُ ذلك الدواء بغير ذلك الدواء الذي عالجهُ بهِ هو. وليس يقول هذا الطبيب لمن بعده من الاطبَّاء: «انهُ ان عرض لجسد ابن الملك مرض آخر بعد هذا المرض فليس لكم سلطان ان تعالجوه» والّا فقد اسلم ابن الملك للتهلكة وصار غاشّاً للملك عدوّاً لهُ

- كذلك كل مجمع من هذه المجامع المقدسة انما هيَّأ دواء الاراسيس التي ثارت في زمانه واعلم الناس ان دواءهُ بالغ ملائم لمرض تلك الاراسيس. وانهُ ليس لاحدٍ سلطان ان يعالج تلك الاراسيس ويقاتلها بخلاف ما قد عالجها بهِ هو وقاتلها. ولم يأمر اطبَّاء الروح الذين بعدهُ ان ثارت اراسيس في زمانهم ألّا يهيئوا لها دواءً يدفعونها بهِ والّا كان غاشّاً للمسيح وعدوّاً لهُ. وحاشا لمجمع يجمعهُ روح القدس ان يكون كذلك. وبئسما فهمتم يا معشر الاراطقة قول الآباء. ولقد سخر بكم الشيطان عدوّ ذريّة آدم فزيّن لكم ان تجدّفوا على روح القدس بمذمّتكم قضايا المجمع التي هي قضايا روح

القدس كما قد اخبرتكم ان السليحيين انفسهم قالوا حيث اخرجوا القضية على المراسيس التي ثارت في زمانهم انهُ رأي روح القدس ورأينا. واعلموا الناس كلهم ان رأيهم رأي روح القدس. فمن جدَّف على قضية احد المجامع فانهُ انما يجدّف على روح القدس

ولعلّك تقول يا هرطيق ان هذا المجمع الذي طرحك قد نقض على المجمع الذي كان قبله اذا ذهب الانسان ان يفتش معاني كلامه. فلذلك زعمت قد تعلم انهُ ليس من روح القدس لان روح القدس لا ينقض على نفسه. فنقول لك يا هرطيق انك غليظ العقل وليس يضي‌ء لك روح القدس لاعوجاج نيتك. لذلك تظن ان هذا المجمع الذي طردك من الكنيسة قد نقض على الذي قبله. ولكن ليس لك ان تشرك نظرك مع نظر المجمع ان كنت تمتثل ما قد امرك روح القدس في الناموس على يد موسى راس الانبياء. بل عليك ان تقبل قضيـة المجمع عزيزةً والَّا لحقك الموت الروحاني. وروح القدس لم يخذل مجمع الرسل ان يخرج منهُ الخطا في احد الوجوه اذ قد اسند النظر فيما يختلف فيه من امر الدين اليه كما قد اوضحنا لك مرارًا. والَّا كان روح القدس الذي فرض على الناس ان يطيعوه هو الذي يقود الناس الى الضلالة التي تخرج لهم منهُ وحاشا لروح القدس ان يفعل ذلك. فان اجزت لنفسك يا هرطيق ان تنظر في قضية المجمع الذي طرحك وتفتّش قوله وتقول انهُ قد خالف المجمع الذي كان قبله فسوّغ لاريوس ان ينظر في قضية مجمع نيقية الذي طرحهُ ويقول ان قولهم خلاف لما في انجيل السليحيين. وأجز لمقذانيوس ان ينظر في قضيـة المجمع الثاني الذي طرحهُ ويقول ان قولهم خلاف قضية المجمع الاول. ولكن اظنك لستَ تفعل هذا اذ تشرك نظرك مع قضية المجمع الذي طرحك

فمن حيث قلتم الكلام يا معشر الهراطقين عامة فليس يأذون لكم من روح القدس ولا لغيركم ان تتجنوا بالعلل على هذه المجامع المقدسة او تخالفوا قضيتهـا باحد الاسباب. والَّا فباطلًا امر روح القدس على يدي موسى راس الانبياء ان يُقتَل كل من لا يقبل قضيَّة المجمع فقد كان لعمري الفسحة لكل واحد من الناس اذا اُخرجت عليه قضيَّة من المجمع ان يتجنَّى على ذلك المجمع. ولا يستطيع ان يرفض قضيَّتهُ بسبب ذلك التجني ويسلم من الموت. ولكن لم يخلِّ روح القدس احدًا زاهدًا بل ألزم الموت عزيزةً كلَّ من خالف قضيَّة المجمع كائنًا من كان. ولم يجعل في ذلك استثناء ولم يمكن لاحد

منهُ فرجة يحيد اليها عن الموت في التجنيّ على المجمع او غير ذلك من الاسباب. كذلك يلزمكم يا كافة الهراطقة عامةً فاعلموا ذلك. وكل من خالف هذه المجامع المقدَّسة فان المسيح يميته الموت الروحاني ويعطّل قلوبكم من سكانة روح القدس فانظروا من الذي يسكنكم

واعلموا كلكم ايها المخالفون لروح القدس ان من كان منكم لا يدَّعي علماً فقد وضح لهُ طريق الرشد. ولا عذر لهُ في ترك المجامع المقدسة التي افضى عقله الى المعرفة بانهُ يجب عليه اتباعها لا محالة. وليس شيء يحبس احدكم عن ان يهرب عن ملكوت الله ويخرج مأسوراً عن عرس المسيح ان لم يتبع هذه المجامع المقدسة. واما من يدَّعي منكم العلم فانهُ انما يشبه احبار اليهود والفريسيين الذين صرفوا مسامعهم عن تعاليم روح القدس وغرقوا لهم من خثرة عكر عقولهم فاسكرهم سكراً اختلجهم عن قبول المسيح الذي اليه كان الناموس يسوقهم وزيَّنوا لهم الاقتراء عليه. كذلك انتم غررتم هؤلاء المساكين فصرفتم قلوبهم عن طاعة روح القدس الذي ينطق على افواه المجامع المقدسة. وغرفتم لهم من فضاضة عقولكم وظلمة اذهانكم وما تلتمسونهُ بعمى قلوبكم وحملتموهم ان يجدّفوا على روح القدس. قاتلكم الله كيف هلكتم واهلكتم. اوهقتم من اتَّبعكم الى قعر الجحيم واوهق الشيطان كلكم واستصحبكم الى نار جهنم المعدَّة لهُ وللائكته. وصرتم لهُ في هلاكه انساً وعزاء

فهل يريد الانسان منكم ان يعتزل ناحيةً ويقوم الجمع ناحية اخرى فينادي احدكم الناس ويقول: ألا ايها الناس عامة اتَّهموا هذا المجمع وصدّقوني فاني أعلم وانصح لكم من هذا المجمع. فكيف استحققت ويحك ان تكون قد فزت بالحكمة الروحانية بل بالعمى الشيطاني دون الناس كلهم وصرتَ انظَرَ الناس للناس بل اغشَّهم لنفسك ولهم. وقد كان ينبغي لروح القدس لو كنتَ كما قد تظن بنفسك بجهلك ان يدلَّ الناس عليك قديماً حتى يعرفوا موضعك ويصفك لهم في كتبه المقدسة كما قد وصف هذا المجمع الذي ذكرنا ويجعل لك في الكتب المقدسة علامات يومئ اليك بها كما قد اومأ الى هذا المجمع المقدس ويجهد الناس على اتباعك كما اجهدهم على اتباع المجمع ولكن ليس ذلك اعجب ايها الاعمى الذي لست تدري ما تقول وماذا تحقق كما قال مار بولس على مثالك. وقد استحكم الجهل فيك واكتنفك التيه من كل ناحية ولا

تحس بذلك غلظاً وبلاهة. ولكن العجب من هؤلاء الاشقياء الذين يتركون المجامع المقدسة ان ينقادوا لها كما امرهم روح القدس وقد امكنوك من أرسانهم ان تقودهم كالاعمى الذي قال ربنا في الانجيل: ان اعمى يقود اعمى وكلاهما في الهوتة يسقطان. وأكثروا ان يتخذوا لانفسهم معلم الضلالة مثلك وبدغدغة مسامعهم كما قال مار بولس (٢ تيم ٤: ٣). فاماَّ نحن معشر الارثوذكسية وابناء الكنيسة المقدسة فاننا نمجد ونشكر المسيح الهنا الذي اعطانا الحزم وطاعة المجامع المقدَّسة التي نطق على لسانها روح القدس فصرنا الى محلته وأوينا الى صير غنمه وسلمنا بحفظه من الشيطان الذئب الخاطف الذي يرصد انفسنا ان يعترض من احدنا شرود عن الكنيسة فيأخذهُ فريسة لهُ وصيداً. فنسأل ربنا والهنا يسوع المسيح ان يثبتنا على صخرة كنيسته المقدسة ابداً ويسقينا من كاس تعليمها حتى نسكر بحبه سكراً يملأ عقولنا ويبسط قلوبنا لطاعته وحفظ وصاياه التي بها نحيا ونرث ملكوت السموات المعدة لكل من كان مبنياً على اساس مار بطرس الذي من روح القدس. فيا روح القدس ألهمنا معرفة المسيح الابن الازلي الاله ابن الاله الذي تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء في شان خلاصنا لهُ المجد والجلال والعزّ والكرامة مع الاب والروح القدس الآن ودائماً والى دهر الداهرين امين

يمين العلي

روابة تاريخية للاب س. ت اليسوعي

الفصل العاشر

مريم (تتمة الفصل)

لما قرب اليوم الموعود اتت يهوديت بغتةً ودخلت في حانوت كوارتوس في مساء النهار المعيَّن لعادها وهي كئيبة كاسفة البال فسألها الشيخ الجليل ما الامر وما سبب حزنها أيكون بلغها خبرٌ مشئوم عن ابيها او أُصيبت بنكبة. فاشارت الى ان لحزنها سبباً آخر واندفعت تبكي

فعمل نظرُها في قلب الشيخ واستلهم اللهَ الرشاد ليعزّيها ويكشف كربها. فرفع عينيهِ واذا على الجدار صورة خشبية تمثل امرأةً وعلى ذراعيها طفلٌ صغير فجثا راكعاً وقال للفتاة: هلمَّ يا ابنتي نُصلّي الى الله ليردَّ لكِ السلام

فجثت يهوديت واستحر كلاهما بالصلاة زمناً. فلمّا عاد الى الفتاة هدوّ قلبها قامت وجلست عند اقدام الشيخ واقرّت لهُ بمحبّتها لضابط روماني يُدعى راسيوس فاخبرتهُ بما جرى لها معهُ وكيف اسر قلبها بحبـهِ. ثم قصّت عليهِ ما تنازع نفسها من العوامل المتباينة لمّا رأت الضابط يسير الى محاربة قومها وبني جلدتها ولعلّ دم ابيها يسيل في هذه الحرب العوان على يد هذا الجندي. ومن جانب آخر. كانت تشعر بعواطف قلبها لا تزال تجنح الى راسيوس. فهو النزاع بين هذه الاميال المختلفة الذي سبَّب لها هذا الحزن والكآبة وكانت يهوديت لبساطة قلبها تظنّ انها ما دامت على هذه الحال لا تستحق نعمة العماد

فبعد ان كشفت الفتاة مكنونات صدرها عادت الى بكائها كأنها باءت باثم عظيم او بمنكر ثقيل. الّا انّ الاسقف الصالح خمّد روعها وطيّب خاطرها وحملها على ان تضع آمالها في والدة الله معزّية الحزانى ولا تتريّث في قبول العماد فانّ هذا السرّ ينهج لها طرقاً جديدة ويطهّر قلبها عن الامور الزائلة ليضرمهُ بمحبّة اشرف واسمى من محبّة كل المخلوقات

*

طلع صباح ذاك النهار السعيد الذي كانت يهوديت تائقةً اليـهِ فاذا هو صباح منير من أيّام نوّار البهيج فكان النبت اخذ زخارفهُ والازهار قد زهت واضحى الورد متنعماً واديم السماء صافياً والطير يصدح على الافنان او يمرّ في الجوّ مرَّ السهام. وكانت ريحٌ عليلةٌ تهبّ في سعف النّخل فتتلاعب بروسها بينا كان يُسمع عن بُعد صوت حداء الجمّالة القادمين بعيرهم الى البلدة

وكانت يهوديت سبقت الفجر فنهضت من فراشها وفتحت نافذة حجرتها لتمتّع ابصارها بهذه المشاهد الطبيعيّة فاتكأت على مشبّك النافذة واطلقت العنان لافكارها. فيا ما ابعدَ امسها من يومها ! وشتّان بين احزانها المدبرة وافراحها المقبلة ! منذ عرفت المسيح وادركت اسرار حياتهِ صار قلبها حليف الدعة وجدت في صليبهِ ما لم تجدهُ في ملذّات العالم وافراحهِ الباطلة. وها قد تقدم اليوم الذي فيهِ يتمّ نعيمها لا يمرّ عليها مساء النهار دون ان تُدفن مع المسيح فتخرج من جرن العماد لابسة ثوب النعمة ومنتعشة بحياة جديدة. فكانت هذه الافكار تفعم قلبها سروراً وتهتزّ بها اضلاعها طرباً

أجل بعد بضع ساعات تُنظم ابنة البطارقة ووريثة كبار بني اسرائيل في سلك شيعةٍ يُبغضها قومها فتُعدّ بين تلامذة الناصريّ الذي لم تسمع في حقهِ منذ حداثتها غير الشتم واللعن. فترى ماذا يجري لها اذا ما عرف اخوها يوسف بارتدادها عن دين الاجداد؟ ماذا يحلّ بها من البلايا والمحن اذا نما الخبر الى اهلها وقرابتها أفلا ينفونها الى الابد من جماعتهم ويعدّونها كالأئمة والعشّارين او بالحري ألا ينصبون لها المكايد ليرتموها في اشراك الذلّ والهوان

تعلم يهوديت بكل ذلك لكنّها لا تنكص الى الوراء لأنها عرفت انّ العبء الذي تولّت حملهُ على مناكبها ليس بثقيل وانّ النير الذي حنت تحتهُ عنقها ليّن هو. فلا تكترث لبُغض العالم واضطهادهِ ما دام الله يرشدها ويسند قواها

فقضت يهوديت يومها ذلك وهي تستمطر غيث النعم السمويّة وتُعدّ نفسها للسرّ الجليل الذي كان ينتظرها في مساء ذلك النهار وكان سلام قلبها وبهجة صدرها يزدادان كلّما تقرب الساعة الميمونة التي توحدها بالمسيح وتجعلها في عداد بني الله

فلمّا ادنفت الشمس ومال قرصها الى المغيب اخذت يهوديت معها أمتها درروتيا الامينة وبعض اماثها وعبيدها المتنصرين ثم سارت معهم الى الحيّ الذي يسكن فيهِ كوارتوس. فكان العبيد يفتحون لها الطريق بين الجموع المتزاحمة امّا هي فكانت مطرقة الى الارض كأنها تسير في بريّة قفراء لا يشغلها شاغل سوى فرحها القريب وكانت تلوح على وجهها امائر النعيم السماويّ الذي استولى على قلبها

فلمّا وصلت الى سوق الحاكة كان كوارتوس في انتظارها عند باب الدهليز الذي كان اتّخذه لهُ كحانوت حياكتهِ وكان جعل قسمهُ الداخليّ كمعبد يقيم فيه صلاتهُ وكان ذلك المساء لبس رداء طويلًا لم يتردَّ بهِ الّا في الاعياد العظيمة امّا وجههُ فكان متّسمًا بسمة من الوقار والبهاء كانت تجعلهُ بالملاك اشبه منهُ بالبشر

واذ نظرت يهوديت الاسقف الجليل ترامت على يدهِ لتقبلها فبشّ لها الشيخ وادخلها في معبدهِ وهو في ذلك اليوم مزدان بزينةٍ غير معهودة فكنت ترى في احدى جهاتهِ مائدة من خشب عليها آنية التقديس من الزجاج او النحاس في وسطها خبزة وقليل من الخمر. ومن الجانب الآخر شبه مذبح عليهِ مشعلان من الراتينج يسطع منهما الدخان وبقربهِ اناء مملوء ماء. وكان عبارة عن سرب طولهُ سبعة او ثمانية امتار في عرض

خمسة قد عُلق في سقفهِ قنديلان. ولم يكن ثمَّ من الحضور الّا بعض النساء الأميّات التقيّات

فلمَّا دخلت يهوديت اسرعت النساء فحيّتها بالسلام ورحَّبنَ بها فأنِست بهنَّ ابنة صموئيل وشعرت بان حبّهنَّ لها خالصٌ ليس بودّ ممذوق. ثم انفردنَ بها الى زاوية بينا كان كوارتوس يصلّي فجرّدنها عن ثيابها الفاخرة وحليها العاليّة وألبَسنها درعًا طويلًا ابيض ارسلنَ شعرها الاشقر فوقهُ كأنهُ الذهب فوق اللجين. ثم اتينَ بها امام الاسقف

فلمَّا رأت دوروتيا والاماء رفيقاتها سيّدتهنَّ في ذلك المنظر البهيّ اغرورقت عيونهنَّ بدموع الفرح. امَّا كوارتوس فقام منتصبًا بازاء المذبح تجلّلهُ هيبة عظيمة فلاح للفتاة أنهُ ظلّ العليّ او ملاكٌ خشعت عند نظرهِ وخرّت عند اقدامهِ. فسألها الشيخ:

ماذا تريدين يا ابنتي ؟ ماذا اتيتِ تطلبين ؟

فاجابت يهوديت باليونانيّة بصوت رخيم وعزيمة لا يشوبها مراء: اني اريد العماد واطلب المسيح يسوع

— وهل تعلمين من هو الذي تطلبينهُ وما يقضي عليكِ دينهُ من الفرائض

— اني عالمة بانهُ هو المسيح ابن الله المتجسد حبًّا بالبشر ولاجل خلاصي. امَّا ما يقضيهِ عليَّ دينهُ فاني أفي بهِ على قدر استطاعتي لاني احبّهُ ولا مشقّة حيث يملك الحبّ

— فكرّري اذن معي قولي: يا يسوع مخلّصي اني اومن بك اني اجمل فيك رجائي اني اسجد لعزّك واحبّك من صميم القلب فانك حياتي وغاية منيتي اليوم. وفي غدٍ ومدة حياتي بل بعد الممات حيث اجتمع بجلالك الى منتهى الادهار

فردّدت يهوديت هذه الألفاظ واحدةً واحدةً بصوت يدلُّ على ايمان ثابت وحبّ مضطرم فحاك هـذا المشهد في الحضور حتى علا صوت بكائهم فكان لعويلهم رجعُ صدًى في قلب يهوديت فسالت دموعها مدرارًا حتى كادت العبرات تخنقها. فلمَّا سكن جأشها قال لها الاسقف: « قومي ايتها الابنة العزيزة وتقرّبي الى الربّ »

فقامت يهوديت وعلى جانبيها اخواتها بالايمان وهنَّ يسندنها وتقدَّمت ثلاث خطوات. فغرف كوارتوس ماء من جرن العماد في صدَفة بحريّة كبيرة ثم باركهُ وصبّهُ على رأس الفتاة قائلًا: « اني أعمدكِ يا مريم باسم الاب والابن والروح القدس ». فأمّن الحضور بصوت واحد

ها قد تمَّ السرّ العظيم! ها قد حلَّ المسيح في قلب ابنة اسرائيل وبدخولهِ انقشعت

ظلمات الخطيئة ! خلعت يهوديت ثياب الاثم لتلبس مريم ثوب البرّ ! ظهرت نفسها في اعين ملائكة الله ابهى من النور وازهى من السوسن !

الّا انّ هذا السرّ لم يكن سوى مقدّمة الاسرار التي اعدّها الرب لمختارته . فانّ كوارتوس بعد ان قدّس نفس يهوديت بالعماد بسط اكفّ الضراعة الى الله وطلب ان يحلّ فيها روحهُ الأقدس ليثبتها في الصلاح ويسكب عليها مواهبهُ السبع ويعضدها بيمينهِ القادرة في وسط التجارب والآفات . فكاد قلب المتنصرة ينفطر لمزيد الفرح الذي غمرها

ثم تقدّم الشيخ وامسكها بيدها المرتجفة واجلسها على المائدة المعدّة هناك حيث الخبز والخمر وجلس هو مع النساء التقيّات فأخذ الخبز ثم شكر وباركهُ قائلاً : « هذا هو جسدي » وأعطى منهُ قسماً لمريم ثم فرّقهُ على الحضور . وكذا فعل بكأس الخمر

فخُيِّل لمريم أنّها لم تَعُد على الارض بل انتقلت روحها الى مقرّ السعادة بين العلويّين اذ ان الحانك المسكين برز لاعينها لابساً صورة المسيح فتكلّم عن لسانهِ ومثّل لديها كلّ حركاته

فبعد هذا العشاء السرّي سكت كوارتوس ولم يَعُد احد يسمع في المعبد الّا تنهُّدات الحضور واصوات الصلاة فهجعوا ليلتهم في مناجاة الله ولسان حالهم يقول : « انّ يوماً في هيكل الرب لأشهى من ألف سنة في قصور الملوك » . امّا مريم فكانت تفوق الجميع بحرارة صلاتها وسعادة نفسها . فانّ عينيها كانت شاخصةً الى العلاء كأنّها ترى رؤيا سماويّة أنستها الارض واباطيلها وكان يُسمع لقلبها وجيبٌ كأنّهُ اوشك ان يتطاير من صدرها ليبرح الدُّنى وينتقل الى مساكن الخلد

فترى ماذا جرى بينها وبين خالقها في تلك الساعة . ذلك سرٌّ لم تَبُح بهِ وانّما يجوز القول بانها اختُطفت كرسول الامم الى الفردوس فسمعت ما لا يحلّ لانسان ان ينطق بهِ . ولمّا عادت الى نفسها التفتت الى أمتها دوروتيا قائلةً : « أنّهُ يردُّ لي ابي ثم . . . » قالت هذا وانقطعت عن الكلام كأنّها خافت ان تفشي بالاسرار العلويّة الّا انّ منظرها كان يدلُّ على بهجة قلبها فلم تشأ دوروتيا ان تسترق خفايا قلبها لكنّها شعرت بصوتٍ ينبئها بانّ سيدتها اضحت كثمرةٍ جنيّة حان وقت قطافها لتُنقَل الى حديقة اخرى اهلة بها فملأ هذا الفكر قلبها روعاً وجزعاً

وكانت قناديل المعبد في تلك الاثناء اخذت تنطفئ رويداً رويداً وضوء الصبح يلوح من نوافذ الحانوت. وبعد برهة وجيزة سُمع في دار العسكر صوت النفير موقظاً للجند ومبشراً بطلوع الفجر بينما كان الفعلة يخرجون من منازلهم ليبكروا الى اشغالهم الشاقة. اما يهوديت فاسرعت بعد وداع الشيخ الحائك وعادت الى دار الورود قبل ان يحسّ بها قومها (البقية للآتي)

مطبوعات شرقية جديدة

المردة والجراجمة هم الموارنة

لسيادة الحبر الجليل يوسف الدبس مطران بيروت

يذكر القرّاء نبذةً لسيادة المطران العلّامة النبيل يوسف الدبس دبَّجها قلمهُ السيّال في المشرق من السنة الجارية (ص ٤٠٤) كان عنوانها «ليس الجراجمة المردة» ردَّ فيها على حضرة الابوين الفاضلين هنري لامنس اليسوعي وانستاس الكرملي. الّا انَّ سيادتهُ بعد ظهور المقالة التي سبق وصفها في المشرق تحت عنوان «بحث في المردة» ارتأى رأياً جديداً يوفّق بين كلّ الاقوال المتضاربة في هذا الشان وهو (ص ٨) «ان الجراجمة شركاء المردة في غزواتهم ونصراءهم واخوانهم معتقداً وترعةً وجامعة الفريقين المارونية فذلك على حدّ قولنا مثلاً انَّ الكسروانيين ليسوا الجبيليين بل اخوانهم والفريقين موارنة» ثم يصادق سيادتهُ على قول الاب لامنس في ختام مقالته عن الجراجمة (ص ١٣) وهو «انَّ المردة والموارنة ان لم يكونوا شعباً واحداً فقد كانت على الأقلّ بينهم علاقات متينة وكذا قل عن الجراجمة» فيرى القرّاء من هذه النتيجة انَّ البحث في اصل المردة والجراجمة خطا خطوةً عظيمة وعسى الحقّ ان ينجلي تماماً بهمّة اهل النقد

نوبار باشا وما تمَّ على يده

تأليف الاديب نجيب افندي مخلوف

طُبع في المطبعة العمومية في مصر (سنة ١٩٠٣ ص ٢٢٢)

نوبار باشا احد الرجال الذين اشتهروا في مصر وخدموا الخدم الجليلة التي يدوَّن ذكرها في بطون التاريخ فيشكرها كلُّ من كان صائب الحكم متنزّهاً عن الغايات الشخصيَّة. فشغف جناب الاديب نجيب افندي مخلوف احد نجباء المتخرّجين في مدرستنا الكليّـة

سابقًا بذلك الرجل الشهير وهزَّتهُ الحميَّة الى ان يسطر اعمالهُ الممتازة وقد جاء كتابهُ جامعًا شاملًا يتضمَّن من الحوادث التاريخيَّة ما تروق مطالعتهُ وهو مكتوب بعبارة سهلة منسجمة لا اثر فيها للتصنُّع . وفي خلاله صور عديدة لبعض مشاهير الرجال او الآثار التي لها دخلٌ مع ترجمة الفقيد فضلًا عن خلاصة تاريخيَّة أُلحقت بآخر الكتاب تسهّل على القرَّاء ادراك احوال مصر منذ نحو مئة سنة . فنثني على همَّة المؤلف الذي جعل باكورة مصنَّفاتهِ كتابًا يفتخر بهِ المتضلّعون من الكتبة ل . ش

شذرات

المتروبليتان — هي السكَّة الحديديَّة التي تمرُّ في اسراب تحت باريس حيث جرى موخَّرًا ذلك الحادث المشؤوم الذي ذهب بحياة مئة شخص . وعدد المسافرين في قطارات هذه السكة يزداد فيها يومًا بعد يوم . ففي الثلث الاوَّل من السنة الحالية بلغ عدد الركاب ٣٥,١٢٧,٤٥٦ وقد كان في السنة المنصرمة في الوقت عينهِ ١٩,٤٣٤,١٢٢ بزيادة ١٥,٦٩٣,٣٣٤ عن العام الماضي

اثر جديد للقديس مارون الناسك — ذكر حضرة الخوري ميخائيل غبريل في جريدة الروضة في تاريخ ٢٢ آب (العمود الاول من الصفحة الثالثة) انَّ القديس يوحنا فم الذهب «وجَّه رسالتهُ المعروفة بالعدد ١٢٦ الى روفينوس الكاهن وفيها يحثُّهُ على دوام الاستمساك بمثل غيرة القديس مارون» فتعجَّبنا عند قراءة هذه الاسطر كيف سهونا عن اثبات شهادة ثمينة مثل هذه في مقالتنا عن جغرافيَّة سيرة القديس مارون . وفي هذا النصّ (لو ثبتت صحتهُ) دليل على انَّ القديس مارون لم يعش فقط عيشة النسَّاك بل تفرَّغ للرسالة الدينيَّة . وينتج علاوةً عن ذلك ان القديس مارون كان مرسلًا في سواحل فينيقية حيث كان روفينوس الكاهن بل يصحّ القول انَّ القديس مارون بشَّر بالايمان في لبنان الحالي لانَّ المرسلين الذين كتب اليهم القديس يوحنا فم الذهب انَّما كانوا غالبًا يبشّرون بالايمان في مشارف لبنان . وعليهِ فلا حرج ان نقول ان القديس مارون اشتغل حيث كانت الطائفة المنتمية اليهِ سوف تقوم يومًا زاهيةً زاهرة

فاسفنا اذن كان بليغًا لسهونا عن هذا النص . ولكن اسرعنا للحال وراجعنا الاصل الذي نُقلت عنهُ هذه الرسالة لننقلها بحرفها فما كان اخيبَ املنا لمَّا تصفحنا الطبعات

الثلاث المحتوية على جميع اعمال القديس يوحنا فم الذهب التي في مكتبتنا (Gaume, Bareille et Migne) مع ترجمتي هذه الاعمال الفرنسيَّة واللاتينيَّة قرأنا الرسالة المذكورة بكل تروٍ فلم نجد فيها ذكرًا سوى لثلاثة رجال وهم الاسقف اوتريوس والكاهنان ثاودوتوس وتيرنسيوس وكذلك نظرنا الروايات التي على هذه الرسالة لعلَّنا نجد اسم مارون فلم نعثر على ذلك. فان كان حضرة الخوري الفاضل اورد هذه الرسالة سهوًا فترجوهُ ان يدلنا على الرسالة الصحيحة والمصدر الذي اخذ عنهُ ونحن نسأل لهُ شكرنا كما يشكرهُ كل من يبحث عن آثار الطائفة المارونية كيف لا وهو يطلعنا على امر جهلهُ توادوريطس المؤرخ وغيرهُ من العلماء

اسئلة واجوبة

س سألنا ن. ص من ادباء البلدة اين هو اكبر الاجراس

اكبر الاجراس

ج اكبر الاجراس جرس الكرملين في موسكو صبَّهُ ميشال مونتارين سنة ١٧٣٣ يبلغ وزنهُ ١٩٦,٤٦٤ كيلوغراماً وقطرهُ سبعة امتار و ٤٧ س وعلوُّهُ ستة امتار و٧٢س. الَّا انهُ لكبرهِ لم يمكن احدًا قرعهُ فبقي في محلهِ الى سنة ١٨٣٦ حيث اقيم فجعل على دكّة عالية كأثر مهمل. واكبر جرس بعدهُ جرس كنيسة قلب يسوع في باريس فوق ربوة مونتمرتر يدعى ساڤوايرد (Savoyarde) وهو من عجائب المصنوعات الَّا انَّ ثقلهُ لا يتجاوز ٢٠,٠٠٠ كيلوغرام ولهُ رنَّة عظيمة تُسمع في كل جهات باريس

س وسأل ع. س لماذا ترجمنا في سفر التكوين قول الرب للحيَّة: «وهو يسحق رأسكِ» بدلًا من «وهي تسحق رأسكِ» وبهذه الترجمة دلالة على الحبل بالعذراء مريم بلا خطيئة اصليَّة اذ سحقت رأس الحية الجهنميَّة وانتصرت على قوَّات الجحيم

قول الرب للحيَّة: وهو يسحق رأسكِ

ج ترجمتنا موافقة للاصل العبرانيّ وقد جاء فيه الضمير مذكَّرًا «هو» لا «هي» يعود على «الزرع» المذكور قبلهُ. على انَّ كلا الترجمتين يجوز اطلاقهما على العذراء. فان قيل «هي» كان المدلول المرأة بعينها اي البتول الطاهرة. وان قيل «هو» اريد بهِ زرع المرأة ومولودها الذي هو المسيح فيكون المعنى انَّ المرأة تسحق رأس الحيَّة الجهنَّمية بواسطة زرعها اي ابنها الالهي ل. ش